

# HISTORY OF LITERATURE PAPER-I

**BA ARABIC**

**2011 Admission onwards**

**III Semester**

**CORE COURSE**



**UNIVERSITY OF CALICUT**  
**SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION**

CALICUT UNIVERSITY.P.O., MALAPPURAM, KERALA, INDIA – 673 635

**UNIVERSITY OF CALICUT**  
**SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION**

STUDY MATERIAL  
BA ARABIC

**III Semester**  
CORE COURSE

HISTORY OF LITERATURE PAPER - I

Prepared by:

*Sri.K. Ali Noufal,*  
*Assistant Professor,*  
*Post Graduate & Research Department of Arabic,*  
*Farook College,*  
*Calicut.*

Scrutinised by:

*Dr.T.A.Abdul Majeed,*  
*Principal,*  
*MAMO College,*  
*Mukkom, Calicut.*

Layout & Settings  
Computer Section, SDE

©  
Reserved

SL. NO.	TITLE
1	نشأة اللغة العربية
2	الأحوال الاجتماعية والسياسية والدينية في العصر الجاهلي
3	نشأة الشعر الجاهلي
4	القصيدة الجاهلية
5	أغراض الشعر الجاهلي
6	المعلقات السبعة واصحابها
7	رؤساء الشعر الجاهلي
8	النثر الجاهلي
9	مشاهير الخطباء والحكماء في العصر الجاهلي
10	الشعر في صدر الاسلام
11	الشعراء المخضرمون
12	النثر في العصر الاسلامي
13	القرآن الكريم
14	الأحاديث النبوية
15	الشعر في العصر الأموي
16	النثر في العصر الأموي
17	العصر العباسي
18	الأدب العربي في العصر العباسي
19	الشعر العربي في العصر العباسي
20	شعراء العصر العباسي

## لوحة الأولى نشأة اللغة العربية

اللغة العربية إحدى اللغات السامية. انشعبت هي وهن من أرومة واحدة نبتت في أرض واحدة. فلما خرج الساميون من مهدهم لتكاثر عددهم اختلفت لغتهم الأولى بالاشتقاق والاختلاط، زاد هذا الاختلاف انقطاع الصلة وتأثير البيئة وتراخي الزمن حتى أصبحت كل لهجة منها لغة مستقلة.

ويقال إن أحبار اليهود هم أول من فطن إلى ما بين اللغات السامية من علاقة وتشابه في أثناء القرون الوسيطة، ولكن علماء المشرقيات من الأوروبيين هم الذين أثبتوا هذه العلاقة بالنصوص حتى جعلوها حقيقة علمية لا إبهام فيها ولا شك.

والعلماء يردون اللغات السامية إلى الأرامية والكنعانية والعربية، كما يردون اللغات الآرية إلى اللاتينية وإلى يونانية والسنسكريتية. فالأرامية أصل الكلدانية والآشورية والسريانية، والكنعانية مصدر العبرانية والفينيقية، والعربية تشمل المضربية الفصحى ولهجات مختلفة تكلمتها قبائل اليمن والحبشة. والراجح في الرأي أن العربية أقرب المصادر الثلاثة إلى اللغة الأم، لأنها بانعزالها عن العالم سلمت مما أصاب غيرها من التطور والتغير تبعاً لأحوال العمران.

ولغات العرب على تعددها واختلافها إنما ترجع إلى لغتين أصليتين: لغة الشمال ولغة الجنوب. وبين اللغتين بون بعيد في الإعراب والضمائر وأحوال الاشتقاق والتصريف، حتى قال أبو عمرو بن العلاء: (ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلعتنا). على أن اللغتين وإن اختلفتا لم تكن إحداهم بمعزل عن الأخرى، فإن القحطانيين جلاوا عن ديارهم بعد سيل العرم - قد حدث 447 م كما حققه غلازر الألماني- وتفرقوا في شمال الجزيرة واستطاعوا بما لهم من قوة، وبما كانوا عليه من رقي، أن يخضعوا العدنانيين لسلطانهم في العراق والشام، كما أخضعوهم من قبل لسلطانهم في اليمن. فكان إذن بين الشعبين اتصال سياسي وتجاري يقرب بين اللغتين في الألفاظ، ويجانس بين اللهجتين في المنطق، دون أن تتغلب إحداهما على الأخرى، لقوة القحطانيين من جهة، ولاعتصام العدنانيين بالصحراء من جهة أخرى. وتطاول الأمد على هذه الحال حتى القرن السادس للميلاد، فأخذت دولة الحميريين تزول وسلطانهم يزول بتغلب الأحباش على اليمن طوراً وتسلبت الفرس عليه طوراً آخر. وكان العدنانيون حينئذ على نقيض هؤلاء تتهياً لهم أسباب النهضة والألفة والوحدة والاستقلال، بفضل الأسواق والحج، ومنافستهم للحميريين والفرس، واختلاطهم بالروم والحبشة من طريق الحرب والتجارة، ففرضوا لغتهم وأدبهم على حمير الذليلة المغلوبة، ثم جاء الإسلام فساعد العوامل المتقدمة على محو اللهجات الجنوبية وذهاب القومية اليمنية، فاندثرت لغة حمير وآدابهم وأخبارهم حتى اليوم.

لم تتغلب لغات الشمال على لغات الجنوب فحسب، وإنما استطاعت كذلك أن تبرأ مما جنته عليها الأمية الهمجية والبدواة من اضطراب المنطق واختلاف الدلالة وتعدد الوضع، فتغلبت منها لغة قریش على سائر اللغات لأسباب دينية واقتصادية واجتماعية أهمها:

**الأسواق:** وكان العرب يقيمونها في أشهر السنة للبيعات والتسوق وينتقلون من بعضها إلى بعض، فتدعوهم طبيعة الاجتماع إلى المقارضة بالقول، والمفاوضة في الرأي، والمباهاة بالشعر، والمباهاة بالفصاحة، والمفاخرة بالمحامد وشرف الأصل فكان من ذلك للعرب معونة على توحيد اللسان والعادة والدين والخلق، إذ كان الشاعر أو الخطيب إنما يتوخى الألفاظ العامة والأساليب الشائعة قصداً إلى إفهام سامعيهم وطمعاً في تكثير مشاييعه. والرواة من ورائه يطيروا شعره هم القبائل وينشرونه في الأنحاء فتنتشر معه لهجته وطريقته وفكرته.

وأشهر هذه الأسواق عكاظ ومجنة وذو المجاز. وأولاهن أشهر هذه فضلاً وأقوى أثراً في تهذيب العربية. كانت تقوم خلال ذي القعدة وتستمر إلى العشرين منه، فتقد إليها زعماء العرب وأمراء القول للمتاجرة والمنافرة ومفاداة الأسرى وأداء الحج. وكان كل شريف إنما يحضر سوق ناحيته إلا عكاظ فإنهم كانوا يتوافدون إليها من كل فجن لأنها متوجههم إلى الحج، ولأنها تقام في الأشهر الحرم، وذلك لا ريب سر قوتها وسبب شهرتها. وكان مرجعهم في الفصل بينهم إلى محكمين اتفقوا عليهم وخضعوا لهم فكانوا يحكمون لمن وضح بيانه وفصح لسانه.

أثر مكة وعمل قريش: كان لموقع مكة أثر بالغ في وحدة اللغة ونهضة العرب، لأنها كانت في النصف الثاني من القرن السادس محطاً للقوافل الآتية من الجنوب تحمل سلع التجار من الهند واليمن فيبتاعها المكيون ويصرفونها في أسواق الشام ومصر. وكانت جواد مكة التجارية آمنة لحرمة البيت ومكانة قريش، فكان تجارهم يخرجون بقوافلهم الموقرة وعيرهم الذئر آمنين، فينزلون الأسواق ويهبطون الأفاق فيستفيدون بسطة في العلم، وقوة في الفهم، وثروة في المال، وخبرة بأمور الحياة. وهي مع ذلك متجرة للعرب ومثابة للناس يأتون إليها من كل فج عميق وعلى كل ضامر ليقضوا مناسكهم ويشترروا مرافقهم مما تنتجه أو تجلبه. ذلك إلى أن قريشاً أهلها وأمراءها كانوا لمكانتهم من الحضارة وزعماتهم في الحج، ورياستهم في عكاظ، وإيلافهم رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى حوران أشد الناس بالقبائل ارتباطاً، وأكثرهم بالشعوب اختلاطاً. كانوا يختلطون بالحبشة في الجنوب، وبالفرس في الشرق، وبالروم في الشمال. ثم كانوا على أثاره من العلم بالكتب المنزلة: باليهودية في يثرب وما جاورها من أرض خيبر وتيماء، وبالنصرانية في الشام ونجران والحيرة؛ فتهيات لهم بذلك الوسائل لثقافة اللسان والفكر. ثم سمعوا المناطق المختلفة، وتدبروا المعاني الجديدة، ونقلوا الألفاظ المستحدثة، واختاروا لغتهم من أفصح اللغات، فكانت أعذبها لفظاً، وأبلغها أسلوباً وأوسعها مادة، ثم أخذ الشعراء يؤثرونها حتى نزل بها القرآن الكريم فآتم لها الذبوع والغلبة.

## الأحوال الاجتماعية والسياسية والدينية في العصر الجاهلي

لم يكن للعرب نوع من الحكومات المعروفة الآن، ولم يكن لهم قضاء يحتكمون إليه أو بوليس يقر الأمن والظلم، وجيش يدرأ عنهم الأخطار الخارجية كذلك لم يكلفو دفع الضرائب، لعدم وجود حكومة تقض على زمام السلسلة التنفيذية، وتضرب على أيدي المعتدي وتوقع عليه العقاب المتناسب مع جرمه. وإنما كان الشخص المعتدي عليه يثار لنفسه بنفسه، وعلى قبيلته أن تشد أزره. ولا يصبح للمعتدي عليه حق في المطالبة بالتأثر إذا دفع المعتدي تعويضاً، كما كانت الحالة عند الجرمانيين في العصور الوسطى. أما إذا كان المعتدي أحد أقرباء المعتدي عليه أخذ الثأر منه وحده لا من قبيلته.

### أيام العرب:

كثر النزاع بين القبائل العربية في الجاهلية بسبب الاختلاف على السيادة أو التسابق على موارد المياه ومنابت الكلاء، فوفعت بينهم حروب كثيرة أريقت فيها الدماء وأيام معدودة عرفت بأيام العرب، ومن أشهرها:

**حرب البسوس:** وقعت بين قبيلتي بكر وتغلب قبل الإسلام، كانت هذه الحرب التي دامت أربعين سنة بسبب ناقة كانت تملكها امرأة عجوزة تدعى بسوس. وبهذا السبب سميت هذه الحرب بحرب البسوس.

**حرب داحس والغبراء:** وقعت هذه الحرب بين قبيلتي عيس وذبيان، وكان السبب الدس هاجها أن قيس بن زهير وحمل بن بدر تراهنما على داحس والغبراء – إثنان من الخيل – أيهما يكون له السبق. فتخاصما عن الفوز في السباق حتى أدت إلى الحرب ودامت إلى أربعين سنة.

**أيام الفجار:** هي الحروب التي وقعت في الأشهر الحرام بين قبائل من عرب الحجاز والفجار الأول كان بين كنانة وهوازن ولم يقع فيها بأس شديد والفجار الثاني كان بين قريش وهوازن اقتتل فيه القوم قتالاً يسيراً وأصلح بينهم حرب ابن أمية والفجار الثالث كان بين كنانة وهوازن بسبب دين كان على رجل من كنانة لرجل من بني نصر بن معاوية ولم يستطع الوفاء به. ومن أشهر هذه الأيام الفجار الرابع الذي وقع بين قريش وكنانة من ناحية وهوازن من ناحية أخرى. وهذه الحرب كانت قبل مبعث النبي (ص) بست وعشرين سنة، وقد شهدها النبي وهو ابن أربع عشرة سنة مع أعمامه وقال النبي: " كنت أنبل على أعمامي يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة"، يعني أن أولهم النبل.

### الحالة الدينية:

لم يحفظ لنا التاريخ شيئاً ذا غناء عن ديانة العرب في الجاهلية. وكان رؤساء العرب يدينون بالدين الوثني. وكان لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها، وكان هبل أعظمها شأنًا وكان من العقيق الأحمر على صورة إنسان مكسور إلى اليد اليمنى، فصنعت له قريش يداً من ذهب.

وكان من عادات العرب في الجاهلية أنه إذا أراد أحدهم قضاء أمر لجأ إلى القداح فضربها، فإن خرج قدح بنعم مضى إلى غايته، وإن خرج بلا عدل عن المضي فيه. ولم يكن هبل وحده معبود العرب، فقد انتشرت الأصنام في أنحاء الجزيرة العربية على شكل بيوت وأشجار وحجارة مصورة وغير مصورة حتى قيل كان حول الكعبة ثلاث مائة وستون صنماً.

كانت مناة أقدم هذه الأصنام، وهي إلهة القضاء ولاسيما قضاء الموت، وكان العرب يسمون أبناءهم عبد مناة وزيد مناة. وقد نصب هذا الصنم على ساحل البحر بين مكة ومدينة وكانت تعظمها الأزدي والأوس والخزرج حتى أمر رسول الله (ص) علي بن أبي طالب بكسره عندما خرج لفتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة.

ومن هذه الأصنام اللات بالطائف ومعناها الإله. وكانت صخرة مربعة اقيم عليها بناء، وقامت على سدانتها ثقيف التي تشبهت بقريش سدنة الكعبة. وبلغ من تعظيم العرب اللات أن كانوا يسمون أبناءهم زيد اللات وتيم اللات.

ومن هذه الأصنام العزى، وهي أحدث من مناة واللات. وكانت تمثل في شجيرات في وادي نخلة عن يمين الذهاب من مكة إلى العراق. وبلغ من تعظيم العرب وقريش إياها أن كانوا يسمون أبناءهم عبد العزى. وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، فإنهم الغرائق العلى، وإن شفاعتهن لترجى. فأنزل الله على الرسول في سورة النجم (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذن قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان)

وكان إلى جانب الوثنية في بلاد العرب ديانات أخرى منها الصابئة التي يعبد أتباعها النجوم والكواكب. وقد انتشرت هذه الديانة في بلاد اليمن وحران وأعالى العراق والزرادشتية نسبة إلى الزرادشت نبي الفرس القدماء. وكذلك انتشرت المسيحية في قبائل تغلب وغسان وقضاعة في الشمال وفي بلاد اليمن في الجنوب. وانتشرت إلهودية في جزيرة العرب قبل ظهور الاسلام ولاسيما في اليمن، كما انتشرت في وادي القرى وخيبر وتيماء ويثرب حيث أقامت قبائل بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع. وكان بين قريش أناس مستتيرة فطنوا إلى سوء حالتهم الدينية وحاولوا الارتقاء من الوثنية إلى اعتقادات أرقى منها، وذلك لاختلاطهم بإلهود والمسيحيين.

### منزلة الشعراء فى المجتمع الجاهلي

الشاعر " كما تدل هذه الكلمة فى العربية هو فى الأصل رجل وهب معرفة ما ستر عن العامة ، وذلك بواسطة شعور خفي يوحيه إليه شيطان خاص". ومن هنا ترى أن للشعر صلة بالمدارك الغيبية . وصلة يسجع الكهان فالشعر كالسحر فى نظر الجاهليين الأولين ، وكانوا يرمون بالسحر كل من يأتى بشيء يثير دهشتهم وتنتقاد إليه نفوسهم بالتعجب والاستحسان والإصغاء. ثم أصبح الشاعر نور وحي وهداية وأصبح الشعر فى الذروة العليا من القيمة لأنه ديوان الأمجاد ، وسجل المفاخر والمآثر . وكان الشاعر لسان القوم فى العارات والغزوات ، يهيب بهم إلى أخذ الثأر ، وإلى حماية الجار، ودفع كل عار ، وكان فى السلم ساحر الجماهير تنقاد له صاغرة ، وكان على كل حال " حكيم القوم ، ومرشدهم ، وخطيبهم، ونائبهم المتكلم باسمهم ومؤرخهم وعاملهم " . وكان يعرف أنساب القبيلة وأخبارها القديمة ويقف على مآتى عظمائها ، ويعرف ما لها من الحقوق فى المراعى وخطوط تخومها. وكان عليه فوق ذلك ، بصفته مدركا لمواطن الضعف النفسى فى القبائل التي تنازع قبيلته ، ولنقائصهم التاريخية ويجعلها موضوع هزء وسخرية " وهكذا كان صحافي القوم يخشى جانبه وتسمع كلمته ويفتخر به. ولهذا كانت القبيلة إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك، وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن فى الأعراس .

وكانت القبائل تتجنب ذم الشعراء وهجائهم لشدة سيرورة شعرهم وبقائه ، وكانوا إذا أسروا شاعرا أخذوا عليه الموائيق ، وربما شدوا لسانه بنسعة حتى لا يهجوهم كما صنع بنوتيم بعبد بغوث بن وقاص الحارثي حين أسر يوم الكلاب فقال:

أقول وقد شدوا لساني بنسعة

أ معشر تيم أطلقوا من لسانيا

والى ذلك كان الأسياد والأشراف يعنون بالشاعر أشد العناية رغبة فى مدحه ودفعوا لشره، أو توصلا إلى مد سلطان وتكويننا لرأى عام . وكانوا يبذلون كل ما فى وسعهم لإتيان أشد المنافسة ويجذبون الشعراء إلى بلاطهم، ويتنافسون فى ذلك بالعطاء من إبل وملابس وحلي، حتى يذيعوا اسمهم فى العرب، ويعلوا من قدرهم فيما بينهم ، ويخلدوا ذكرهم على مر السنين ويسهلوا لهم طرق الإستلاء على حركة الأعراب فيأمنوا شرهم

وغاراتهم على التخوم وعلى طرق القوافل التجارية . وهكذا كان الممدوحون حريصين أشد الحرص على مديح الشاعر ، ولئن أعينهم الحيلة ولم يجدوا وسيلة إلى إرضائه باتوا في كآبة يخشون معبة الهجاء . وهذا مخارق بن شهاب سيد بنى مازن ، أتاه محرز بن المكعبر العنبري الشاعر فقال : إن بنى يربوع قد أغاروا على إبلي ، فاسع لى فيها . فقال مخارق : وكيف وأنت جار وردان بن مخرمة؟ فلما ولى عنه محرز محزوناً بكى مخارق حتى بل لحيته ، فقالت له ابنته : ما بيكيك؟ فقال : وكيف لا أبكي ، واستغاثني شاعر من شعراء العرب ولم أعتنه ، والله لئن هجاني ليفضعني قوله، ولئن كف عني ليقتلني بشكره . ثم نهض فصاح فى بنى مازن فردت عليه إبله.

وهكذا كان الشاعر فى الجاهلية ينشد قصيدته فتعلق أشعاره فى الأذهان عن طريق الرواية المباشرة المتواترة، وتعود الاختلافات فى الرواية إلى جهل النساخ ، وما كان الاضطراب المسبب عن بعد عهد الرواية إلا ليزيد فى تلك العيوب. وهكذا فإن القطعة التي كتب لها البقاء بتعرض منذ ولادتها إلى طائفة من عوادي الزمن والمصادفات . أضف إلى ذلك أن الشاعر نفسه كان يغير ترتيب أبياته أو ينقحها تنقيحاً يظهرها بغير مظهرها الأول ويجعلها من ثم متعددة الرواية . والرواة فى الجاهلية كثيرون منهم أبناء العشيرة الذين " يهتمهم أمر الشاعر ويصبحون رواة متطوعين لنشرها ، ومنهم أحد أبناء الشاعر أو أحد أقربائه أو أبناء قبيلة أخرى. ولم يكن الرواة فى مآمن التغيير والتبديل فى القصائد ولا سيما وإن بعضهم شعراء ذو مكانة فى عالم الشعر.



## نشأة الشعر الجاهلي (الشعر ديوان العرب)

قال أبو عمرو بن العلاء " ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثيرا" ذلك أمر لا يختلف فيه إثنان فالأدب العربي برز إلى الوجود بانفجار شعري – على حد قول الدكتور فيليب حتي – وهذا الانفجار الشعري شديد الانسجام مع طبيعة العربي وبسبب هذا الانسجام الشديد كان الشعر شديد التدفق ينشده العرب في مسامراتهم ومواسمهم في مفاخراتهم ومنافراتهم في غزواتهم وحرروبهم في حلهم وترحالهم حتى كان ديوانهم وخزانة أخبارهم وأحوالهم.

قال أبو هلال العسكري " لا تعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة أشعارها فالشعر ديوان العرب وخزانة حكمها ومستنبت آدابها ومستودع علومها" وقال الجاحظ " قال الهيثم وابن الكلبي وأبو عبيدة فكل أمة تعتمد في استيفاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى وكان ذلك هو ديوانها وعلى أن الشعر يفيد فضيلة البيان على الشاعر الراغب والمادح وفضيلة المأثور على السيد المرغوب إليه والممدوح به" ولما كان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى كلمهم به يأخذون وإليه يصيرون " وفيه كانوا يختصمون وبه يتمثلون وبه يتفاضلون وبه يتقاسمون وبه يتناضلون وبه يمدحون ويعابون" لما كان الشعر كذلك كان ولا شك وافرا جدا ولكنه لم يصل إلينا منه إلا النزر إلى سبب لأسباب مختلفة منها ضعف التدوين وآلاته ومنها تشتت القبائل في الأصفاح البعيدة واندثار كثير من معالم بيانها ورواة أشعارها ومنها القضاء في الإسلام على كل ما يعوق الدعوة الإسلامية من آراء الوثنية وأشعارها والذي وصل إلينا من ذلك الشعر حديث الميلاد. قال الدكتور ناليون: "لم ينقل إلينا بيت عربي غير مرتاب بصحته أقدم من أواخر القرن الخامس للمسيح أعني سابقا للهجرة بأكثر من مائة وثلاثين سنة تقريبا" وقال الجاحظ في وهم كثير " أما الشعر فحديث الميلاد صغير السن أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلل بن ربيعة ... فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمأتي عام ... وفضيلة الشعر مقصورة على العرب وعلى من تكلم بلسان العرب والشعر لا يستطيع أن يترجم ولا يجوز عليه النقل".

### الشاعر الجاهلي

صحافي وحكيم وحكم: وهذا يقودنا إلى كلمة نقولها في الشاعر الجاهلي فالشاعر "كما تدل هذه الكلمة في العربية هو في الأصل رجل وهب معرفة ما ستر عن العامة وذلك بواسطة شعور خفي يوحيه إليه شيطان خاص" ومن هنا أن للشعر صلة بالمدرäk الغيبية وصلة بسجع الكهان فالشاعر كالمساحر في نظر الجاهليين الأولين وكانوا يرمون بالسحر كل من يأتي بشيء يثير دهشتهم وتنقاد إليه نفوسهم بالتعجب والاستحسان والاصغاء ثم أصبح الشاعر نور وحي وهداية وأصبح الشعر في الذروة العليا من القيمة والخطر لأنه ديوان الأمجاد وسجل المفاخر والمآثر وكان الشاعر لسان القوم في الغارات والغزوات يهيب بهم إلى أخذ الثأر وإلى حماية الجار ودفع كل عار وكان في السلم ساحر الجماهير تنقاد له صاغرة وكان على كل حال "حكيم القوم ومرشدهم وخطيبهم ونائبهم المتكلم باسمهم ... ومؤرخهم ... وعالمهم ... " وكان يعرف أنساب القبيلة وأخبارها القديمة ويقف على مآثي عظمائها ويعرف ما لها من الحقوق في المراعي وخطوط تخومها. وكان عليه فوق ذلك بصفته مدركا لمواطن الضعف النفسي في القبائل التي تنازع قبيلته ولنقائصهم التاريخية أن يشهر هذه المثالب ويفضح هذه القبائل ويجعلها موضع خزع وسخرية" وهكذا كان صحافي القوم يخشى جانبه وتسمع كلمته ويفتخر به ولهذا كانت القبيلة إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الطعنت واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الإعراس.

وكانت القبائل تتجنب ذم الشعراء وهجاءهم لشدة سيرورة شعرهم وبفائه وكانوا إذا أسروا شاعرا أخذوا عليه الموائيق وربما شدوا لسانه بنسعة أي بقطعة من الحبل حتى لا يهجوهم كما صنع بنوا تيم بعبد يغوث بن وقاص الحارثي حين أسر يوم الكلاب فقال :

أقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيم أطلقوا من لسانيا

### لسان الشهرة والتشهير

وكان الأسياد والأشراف يعنون بالشاعر أشد العناية رغبة في مدحه ودفعاً لشهره أو توصلوا إلى مد سلطان وتكويناً لرأي عام. وكانوا يبذلون كل ما في وسعهم للإتيان بالشعراء إلى بلاطهم ويتنافسون في ذلك أشد المنافسة ويجزلون لهم العطاء من إبل وملابس وحلي وقيان حتى يذيعوا اسمهم في العرب ويعلموا من قدرهم فيما بينهم ويخلدوا ذكرهم على مر السنين ويسهلوا لهم طرق الاستيلاء على حركة الأعراب فيأمنوا شهرهم وغاراتهم على التخوم وعلى طرق القوافل التجارية. وهكذا كان الممدوحون حريصين أشد الحرص على مديح الشاعر ولئن أعيتهم الحيلة ولم يجدوا وسيلة إلى إرضائه باتوا في كآبة يخشون مغبة الهجاء " وهذا مخارق بن شهاب سيد بني مازن أتاه محرز بن المكعبير النبيري الشاعر فقال : إن بني يربوع قد أغاروا على إبلي فاسع لي فيها فقال مخارق : وكيف وأنت جار وردان بن مخزومة؟ فلما ولى عنه محرز محزوناً بكى مخارق حتى بل لحيته فقالت له ابنته : ما يبكيك ؟. فقال: وكيف لا أبكي واستغاثني شاعر من شعراء العرب ولم أعثه؟ والله لئن هجاني ليفضحني قوله ولئن كف عني ليقتلني شكره ثم نهض فصاح في بني مازن فردت عليه إبله"

### القصيدة الجاهلية

لقد ظهرت القصيدة في الشعر العربي ظهوراً طبيعياً وكانت امتداداً لنغمة البيت الواحد وتكراراً موسيقياً غنائياً جر معه المعاني والصور وقد نسب أدباء العرب بناء القصيدة إلى المهلهل وقالوا أنه أول من قصد الصائد اغتراراً منهم أن الشعر حديث السن وأنه ابتدأ مع امرئ القيس والمهلهل.

والقصيدة الجاهلية عجيبة البناء تولد عند الشاعر تبعاً لأحواله النفسية وأحوال زمانه ومكانه وكثيراً ما تظهر قسماً بعد قسم أو قد يكون الرواة قد حفظوا أفساماً يحتفظ كل واحد منهم بأحد تلك الأقسام وهي من ثم تبدو لنا بعد ما جمعت أجزاؤها أبياتاً متتابعة تجري على لسان سنان معلوم في الترتيب وفي مجموعة الأفكار وطرائق التعبير والتصوير والتشبيه . وكان هنالك سنة التقليدية كما كان لسجع الكهان سنة وطرائق خاصة في التعبير والتصوير وكانت تلك السنة متبعة اتباعاً لا يكاد يحيد عنها شاعر وكان تركيب القصيدة على تلك الطريقة المثال الأعلى لكل من نظم الشعر وأطال النظم وكأني بالعلاقة بين الأبيات علاقة شعورية ذكرية أكثر مما هي تفكيرية عقلية.

تفتتح القصيدة عادة بالوقوف على الأطلال واستيقاف الصبح وذكر الأحبة وذلك أياً كان نوع القصيدة وأياً كان غرضها. وقد أوحى البيئة إليهم بهذا الافتتاح الكئيب الرتيب كما أوحى الموثولوجيا إلى يونانية لشعراء اليونان والرومان ومن أخذهم باستيحاء بنات الأولمب فحياة العرب في الجاهلية قاسية وآفاقها صحراوية تمتد امتداد الأمل فوق الرمال وقلوبهم خفاقة بالذكرى شديدة التأثر والانفعال والعرب قوم ترحال دائم ينتجعون المرعى ويؤمنون تلك البقاع من الأرض التي تحفظ قدراً من مطر السماء فبنيت عليها العشب الذي ترعاه إبلهم ونوقهم وهنا يبقون حتى سنفد المرعى ويأكل حيوانهم كل العشب فيضطرون إلى الرحلة إلى مكان آخر لا يزال به غنياً وتختلف مراعيهم بطبيعة الحال بين فصول السنة المختلفة . فلربما اتفق أنهم في أثناء ترحالهم الدائم مروا من جديد ببقعة كانوا قد حلوا فيها من زمن سابق فيقفون هنالك برهة يعتبرون فيها ويتأسون ويتذكرون ماضي حياتهم وسالف رفاقهم. وهكذا نشأت السنة الشعرية القديمة من بدء القصيدة باستيقاف الصبح على الأطلال الدور المهجور وذكر الأحبة"

وبعد هذه الفاتحة التي تمتزج عند الشاعر بماء العينين والتي سموها نسيبا ينتقل الشاعر إلى ذكر رحلة قام بها على ظهر ناقته وعانى فيها من الأهوال ما تضرب به الأمثال ولا غرابة في ذلك فلبلاذ حافلة بالصعوبات والمشقات : فياف شاسعة مجدبة ورمال لا نهاية لامتدادها وجبال وعرة جرداء وعطش محل وسراب وآل ووحشة وانتقال وسموم وحرور وأهوال ومن ألم ما يواجهه المسافر في الصحراء قبيظها وشدة حرها. وكم عانى الشعراء مثل تلك المشقات وهم على ظهر ناقاتهم "سفينة الصحراء" وبصحبة بعض الرفاق الذين لا يؤمن السفر بمعزل عنهم. والناقة أصلح مركب للصحراء لصيرها على العطش وشدة بنياها وهي الحيوان الأصيل لبلاد العرب قبل الخيل التي يعد اقتناؤها من الأمور المألوية والتي لم يكن يحوزها إلا صاحب إلىسر في العيش.

والرحلة شديدة اللصوق بالناقة أو الفرس أحيانا ولهذا ترى الشاعر يتوقف في قصيدته عند الناقة أو الفرس. فيصفها ويمعن في وصفها. كيف لا وهي أحب إليه من حبيبه أو هي تأتي رأسا بعد الحبيب وبم يصفها ؟ بالسرعة والشدة وعظم البنيان والشعور مع الراكب وبغير ذلك.

والإندفاع في الفلوات مغامرة لا حد لها قد تميل بالشاعر إلى ضروب من الملاهي كالصيد والشراب والميسر وصيد الطباء والمها من أمتع ما كان ينصرف إليه الجاهلي. وشرب الخمرة كان شائعا في بعض مجتمعات العرب وأحسن الخمور ما استقدم من الشام والعراق. والميسر هو القمار وكان في الجاهلية أنواعا كثيرة.

ثم ينطلق الشاعر في عالم الذكريات والمشاهد ويرى نفسه على مسرح الوجود فيقف عند ذاته وكم له في الذات رؤى وإحياءات فيذكر بطولته وشجاعته وينشر ما طوى في ذاته وفي قبيلته من أمجاد والأعرابي وهو شاعر صبي في خلقه وينطوي تحت دعتة الظاهرة من التقلب ما لا يشاهد مثله إلا في الأولاد ... وهو كهؤلاء لا يتأثر إلا بعامل الساعة التي يكون فيها ولا تستهويه سوى ظواهر الأمور ويبههر الضجيج والضوضاء والبهرج وفي اقتنائه سر اجتذابه وهكذا يتدفق فخرا ووصفا واعتراقات شتى حتى إذا بلغ آخر القصيدة أتى على ذكر غرضه منها كأن هذا الغرض ليس غاية القصيدة بل كأنه قسم منها أو طرف من أطرافها. وقد يكون تغنيا بقبيلة أو وصفا لمشهد أو هجاء لخصم أو مديحا لعظيم أو ما إلى ذلك.

وهكذا ترى القصيدة نبرات عاطفية واهتزازات نفسية وسلسلة من انفعالات وتفاعلات وهي من ثم غنية بالعاطفة التي تخرجها لغة محبوكة متينة الرصف إلا أنها فقيرة في الأفكار المبتكرة الطلية وعليه فهي قليلة الغناء من حيث أنه أدب عام مشترك يتذوقه الناس في كل صقع ومن هنا تفقد هذه الأشعار الجاهلية قيمتها حين تترجم إلى لغة أجنبية لأن العنصر الشخصي فيها قوي والمهم فيها هو الناظم لا المنظوم والفكرة الرئيسية واقعية والأفق محدود والنظرة إقليمية بحتة فإذا تغنى الشاعر بجمال المرأة فإنما هو يعني فتاته الخاصة وإذا وصف فرسا أو ناقة فمن خيله وإبله ومن هذه الناحية فالشاعر العربي يحاكي الأغنية البلدية القروية من الشعر الوصفي عن الإغريق.

### أغراض الشعر الجاهلي

وقد قيل أنه " ليس أحد من العرب إلا وهو يقدر على قول الشعر طبعاً ركب فيهم ... " وقال غوستاف لوبون : "إن الأعراب الأجلاف بعباداتهم شعراء بتصوراتهم ويندر أن يكون الأعرابي غير شاعر" وهكذا عبر الجاهليون بالشعر عن شتى أحوالهم وضمونهم مختلف أغراض حياتهم فكان عبر الجاهليون بالشعر عن شتى أحوالهم وضمونهم مختلف أغراض حياتهم فكان ديوان فخر ووصف وغزل ومدح ورثاء وهجاء وخمر وزهد وحكمة.

**1 – الفخر:** كان مراد الفخر عند الجاهلي إلى العصبية القبلية والحياة الفطرية. أضيف إلى ذلك أن حياة الجاهلي الخشنة قد انعكست على نفسه قوة وصرامة وجلدا ولاسيما وإنها كانت حياة حافلة بالأخطار وقد خلعت الصحراء بقوانينها الصارمة على العربي مجموعة من الصفات والفضائل النفسية ملأت صدره فانفجرت شعرا فخريا وحماسيا كان صدى طويلا لما يجيش في النفوس. وأول ما تغنى به الشاعر الجاهلي في فخره الشجاعة لأنها كانت سبيل الوحيد للحياة في تلك البيئة الخائفة. والشجاعة صبر وجلد وإقدام وهي تقتضي أن يكون العربي ناحل الجسم قوي العضلات خفيف الحركة ذا عزيمة وحزم لا يتردد ولا يتقاعس ولا يتشكى. والشجاعة شعور بالمسؤولية الفردية والجماعية والشاعر شديد الفخر بالفرد والعطاء وإكرام الضيف وتحمل الديات وفض الخصومات لأنه بها ينزل وعشيرته منزلة رفيعة. وهو إلى ذلك يقف في المفارقات والمنافرات وكأن القبيلة قد تجسمت فيه ونطقت بلسانه فينطق بكلامه مدويا شديد الوقع والإيقاع تزخر فيه الأمجاد وذكرى الأيام والوقائع. والشجاعة نفور من كل ضغط وظلم وعار وإنك إذا قرأت الشعر الجاهلي وجدته حافلا بالإباء وتأبى المذلة والمذمة. قالت الخنساء:

نهين النفوس ونذل النفوس يوم الكريهة أبقى لها

ثم إن الشجاعة هي الغرام بالحرب وأدواتها والخيل وصهواتها. وكان الجاهلي شديد التغنى بسلاحه ولل سيف والرمح والسهم والدرع محل واسع في فخره. وكذلك كان للخيل محل واسع في الفخر الجاهلي وذلك أنها معاقلم التي يلجأون إليها إذا جد الجد. قال لبيد:

معاقلمنا التي ناوي إليها بنات الأعوجية والسيوف

ومع الشجاعة تغنى الجاهلي بالكرم وفخر بكثرة النيران لأنها أعظم برهان على الأطمعة ولأنها دليل للضيوف يقصدونها ولذلك سميت نار القرى وفخر بكونه يحسن استقبال الضيوف ويبدل النفس والفيس وينزل نفسه منهم منزلة العبد قال حاتم الطائي:

وإني لعبد الضيف ما دام نازلا وما شيمة لي غيرها تشبه العبد

وإلى جانب هذا فخر الجاهلي بالحلم والعفو عند المقدرة وفخر كذلك بالوفاء والإبتعاد عن الغدر لأنه رفيع النفس أبيها ولأنه كريم متلاف وفخر بحماية الضعيف وإغاثة الملهوف فهو يحمي النساء الأطفال ويحمي الجار ويعز حلفاءه والمتحرمين بجواره قال السموأل مفاخرا:

وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل

وهكذا كان الجاهلي يفخر بعزة الجار وتلبية دعاء المكروب في الحرب بدون تردد أو سؤال قال وداك المازني:

مقاديم وصالون في الروع حطوهم بكل رقيق الشفرتين يمان  
إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم لأية حرب أم بأي مكان

**2 – الوصف:** والجاهلي رجل رقت مشاعره فكان كتلة أعصاب تهتز لكل مشهد وتتفاعل مع كل مظهر. ومن ثم كانت انطباعاته واسعة النطاق وعميقة الأثر من الناحية الشعورية وشديدة اللصوق بالواقع المحسوس لا تتعداه إلى التأمل الفكري البعيد المدى. ولما كان كذلك ولما كان سريع الاعتراف بالشعور، سريع الجواب سريع الاندفاع فقد عبر عن كل ما سمع وما شاهد بشعر وصفي تناول فيه الطبيعة في شتى عناصرها من جماد وحيوان ونبات وإنسان وتناول الطبيعة المصطنعة التي كيفتها يد الإنسان وأقامت منها قلاعا وحصونا وما إلى ذلك مما ينطق به الشعر الجاهلي في غلوه البدائي وحماسه الطفولية.

أجل أكثر الجاهليون من الوصف ولكنه وإن كان كثيرا لا يصور لنا البيئة تمام التصوير لأسباب وإنما سنتوقف عند بعض الموضوعات لنبين بعض المعاني الوصفية التي وردت في ذلك الشعر معتمدين خطة الإيجاز والتلميح. ولا بد هنا من الإشارة إلى أن المعاني الوصفية في الجاهلية تكاد تنحصر في نطاق ضيق مما يدل على خيال مقلد مكرر أكثر مما هو مبتكر. أما الطلول فقد وصفها أكثر الشعراء وهي عندهم محط الرحال ومنطق الذكرى وهي عندهم مرتع للأرام والوحوش وميدان للرياح والأنواء ودار للبلى والفناء. وأما الليل فقد وصفوه بالطول وتلاطم الهموم فيه فكان نجومه شددت إلى راسيات الجبال. وأما المطر فوصفوا سحابه وبرقه وانهاره وفعله في الأرض والنبات والحيوان.

وأما الصحراء فهي في شعرهم مثل ظهر الترس موحشة شديدة القیظ واضحة الأقرباب أي الجوانب والأطراف وأما الناقة فهي قنطرة رومية شديدة مفتولة العضلات نجبية ضامرة سريعة السير وهي مروضة ذلول رهن الإشارة أي هي كاملة الأعضاء تامة التكوين صلابة الهيكل. وهي لا تشعر بتغير الجو وشدة الحر وهي من ثم خير ما يقتنيه البدوي لأسفاره في الفلوات. وقد أطنب الجاهليون في وصفها إطنابا عجيبا وافتنوا في تصويرها وتصوير أعضائها وسيرها افتنانا لا يدع زيادة لمستزيد وكان طرفة بن العبد من أشهر وصافها.

وأما الفرس فهو في شعرهم كريم ضخم الهيكل مكنتز اللحم يصب عدوه صبا وهو ضامر الخصر عظيم الأضلاع ممتلئ الجنين وهو يطوي الأرض طيا يزداد نشاطا كلما ازداد عدوا. ومجمل قولهم فيه يعود إلى النشاط والسرعة وكرم الأصل. وقد شبهوه بالعقاب وشبهوا كل جزء منه بما يوضح القوة والاكنتاز والشدة والسرعة قال امرؤ القيس:

له أطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

هذا بعض ما وصفه الجاهليون وتلك بعض معانيهم وهي في أكثرها تشبيهات وتمثيلات حسية حافلة بالحركة ناطقة بالقوة التي يتعشقها ابن الصحراء وللجاهلي ميل خاص إلى التشبيه التمثيلي والاستدارة التشبيهية التي يطلق فيها الخيال الحسي فيجول في ميادين المقارنات المادية البعيدة عن التحليل العميق وعن الفن الذي يشذب ويختار. إنه اندفاق طفولي مغرم بالألوان الظاهرة والمسموعات الشديدة الإيقاع.

**3 - الغزل:** والغزل ذو نشوء طبيعي في الجاهلي وكانت النساء سافرات لا يتبرقعن ولا يتحجبن عن أنظار الجنس الآخر إلا ما كان هنالك من بعض التلثم. والنساء أنواع منهن الحرائر المتصونات ومنهن المتبذلات. والميل بين الجنسين أحدهما إلى آخر ميل طبيعي غايته وكماله الزواج. وكان تعدد الزوجات وإباحة ما في ملك الرجل من الإماء شائعا في الجاهلية. والميل يظهر بالحب والولع بالجمال. والحب والولع يقودان إلى التغني بمظاهر ذلك الجمال. وهذا التغني هو الغزل ويدعى النسيب والتشبيب قيل بل التشبيب ذكر أيام الشباب واللهو والغزل وذلك يكون في ابتداء قصائد الشعر. والجمال عند العرب الأقدمين هو اعتدال القد وذبول العينين السوداوين واحمرار الخدين وبيضاض اللون وثقل الردف ونحول الخصر وطول الجيد وقد جاء تليخيص ميزات الجمال الجاهلي الذي تغنى به الشعراء في كلام ينسب إلى امرأة من كندة قيل أرسلها الحرث بن عمرو ملك كندة لتختبر له جمال ابنة عوف ابن محم الشيباني وكمالها وقوة عقلها. فلما رجعت إليه قالت "رأيت جبهة كالمرأة المصقولة يزينها شعر حالك كأذنان الخيل إن أرسلته خلته السلاسل وإن مشطته قلت عناقيد جلاها الوايل وحاجبين كأنما خطا بقلم أو سوادا بفحم تقوسا على مثل عين ظبية عبهرة بينهما أنف كحد السيف حفت به وجنتان كالأرجوان في بياض كالجمان شق فيه فم كالخاتم لذيد المبسم فيه ثنايا غر ذلت أشر تقلب فيه لسان ذوا فصاحة وبيان بعقل وافر وجواب حاضر تلتقي فيه شفتان حمران في رقبة بيبضاء كالفضة ركبت في صدر كصدر تمثال دمية وعضدان مدمجان يتصل بهما ذراعان ليس فيهما عظم يمس ولا عرق يجس ركبت فيهما كفاً دقيق قصبهما لين عصبهما تعقد إن شئت منهما الأنامل ... " هذا كان المثال الأعلى في الجمال عند أبناء الجاهلية وهذا ما وصفه شعراءهم.

والجاهلي يصف حبيبته كما يصف ناقته أو فرسه. يحاول تصويرها بأسلوب التشبيه فينعثها بكل مستحب لديه ويشبهها تشبيها حسيا ماديا ويكثر من التشبيه والتصوير ويكثر من النعوت ما استطاع بذلك عما يعجز عن تبيانها من خوالج النفس ولواعج الصدر وإن تعدى ذلك فالى ذكر الأحاديث والوقائع الغرامية وإلى طلب الوصال والكف عن القطيعة وإلى وصف سطحي من آلام النفس وتراكم الهموم.

**4 – المدح:** العظماء وأرباب السلطان طائفة من الناس تميل إلى أن يتغنى الناس بمناقبها. وكان الجاهليون والأقدمون عموما أشد ميلا من غيرهم إلى هذا النوع من التفخيم ونشر المناقب. وقد بينا كيف كان العظماء يتنافسون في استقدام الشعراء في تكريمهم ومدحهم بالمال والنعم. وكان الشعراء يطربونهم ويذيعون أعمالهم في العرب ويساعدون بذلك على مد سلطانهم. وكانت معاني المدح تنحصر في الكرم والجود والقوة والحلم وما إلى ذلك.

**5 – الرثاء:** هو البكاء على الميت وكان تشييع الميت عند العرب البادية بمشي الأقارب خلف الجناز حفاة وبحل النساء شعورهن وتلطبخ رؤوسهن بالرماد. وقد يلحق النساء رؤوسهن حزنا على الميت. ثم تستأجر النائحات ليظهرن شعار الحزن والحسرة ويذكرن للميت محاسن من حيث كان ... من هذه العادات والتقاليد ومن لوعة النفس الصادق استقى الجاهليون معانيهم الرثائية ومزجوها بالمدح والتهديد وطلب الثأر.

**6 – الهجاء:** كان للهجاء في الجاهلية وقع شديد لشدة سيرورة الشعر. وكان يلجأ إليه الشعراء ليساندوا به شجعانهم في الحرب ويرفعوا من شأن قبيلتهم ويردوا التعبيرات. إنهم يهاجمون به العدو فيجردونه من الصفات التي كانوا يفخرون بها ويلحقون به الذل والعار. فهو حقير ذئبي النفس جبان بخيل ذليل الجار له في صفحة الدهر أيام سود ووقائع جرت الويل على قومه والصغارة على شرفه وحرماته.

**7 – الخمر:** أن العرب في الجاهلية قد عنوا بالكرمة ما يستخرج منها. وكانت الكروم في الطائفة وبيادر العنب مشهدا طالما استهوى الأعراب في بوادي تهامة. قال فيليب حتي: " أما خمر الطائفة فقد كان برغم كثرة الطلب عليه أقل ثمنا من النوع الأجنبي الذي كانوا يستقدمونه من الشام والعراق ويشهرونه في الشعر العربي " وكان باعة الخمر في الجاهلية ينصبون رايات ليعرف مكانهم ويسمونهم الغاية. وكانت العرب تفتخر بشربها وبلعب القمار لأنهما من دلائل الجود عندهم. وقد بلغ تولعهم في شرب الخمر ما فعله أبو غبشان إذ باع مفاتيح الكعبة بزق خمر. ثم إن تفننهم في أوصافها أو جبههم أن يسموها بأسماء كثيرة في أشعارهم "

كان إذن من الطبيعي أن يتناول الشعراء الخمرة ويصفوها ويصفوا مجالسها وغدوهم إليها قبل أن يصيح الديك وشربها وأنيتها ومفعولها في النفس. قال عدي بن زيد:

بكر العاذلون في وضح الصب	ح يقولون لي أما تستفيق؟
ودعوا بالصباح يوما فجاءت	قينة في يمينها إبريق
قدمته على عقار كعين الدي	ك صفي سلافها الراوق
مرة قبل مزجها فإذا ما	مزجت لذ طعمها من يذوق
وطفا فوقها فقايق كإلى	قوت حمر يزينا التصفيق
ثم كان المزاج ماء سحاب	لا صدى آجن ولا مطروق

**8 – الزهد والحكمة:** لا شك أن في الطبيعة البشرية حنينا إلى عالم روحاني يسمو عن المادة وشرها. وقد ظهر هذا الحنين عند الجاهليين ظهورا جليا عبروا عنه بأساليبهم الخاصة وسطحياتهم المعهودة فكان لهم حكمة تتصل بما وراء الطبيعة وكان لهم شعر تدين وكان لهم أخيرا شعر حنفي.

أما حكمتهم فثمرة تجربة واختبار وهي موجز القول سطحية المضمون ضعيفة الصلة بالعالم الروحاني ولا تعدو ما يقع تحت الحس من الموت واخترام المنية الأنفس وموت الشاب الصغير وبقاء الشيخ الهرم أما شعر التدين فقد كانت الغلبة فيه للعنصر الخلقى الروحي في المسيحية وقد "حفظت لنا نصوص هذا الشعر شيئا عن المسيحية يعتبر أكثر مما حفظت عن أي دين آخر من أديان الجاهلية ولعل هذا يرجع إلى أن المسيحية من أكثر الأديان التي سادت الحياة الجاهلية إغراقا في الروحانية من ناحية وإلى أن سلطتين قويتين عملتا على

نشرها والمحافظه عليها من ناحية أخرى هاتان السلطان هما الرمان في الشمال والأحباش في الجنوب. وقد استطاع الرهبان النصارى بانتشارهم في الصحراء وعكوفهم على العبادة وانصرافهم عن المادة أن يسترعوا نظر الشعراء الجاهليين أكثر من أي مظهر ديني آخر".

وأما الشعر الحنيفي فكان من جملة الحركة التوحيدية الفكرية المستقلة التي تزعمها جماعة من المفكرين الموحدين لقبوا بالحنفاء وقد أبوا أن يقبلوا اليهودية والنصرانية كما بل اكتفوا بعبادة الله لا شريك له مع اتباع عادات قومهم واتخذوا لهم اماما ابراهيم الخليل كليم الله الذي كان على أصل التوحيد الكتابي المنتشر في العالم والجزيرة العربية وكانوا يكثرون من الأسفار إلى ديار النصرانية والاتصال بعلمائها " وقد جعلوا وجهة أكثرهم أعالي الحجاز وبلاد الشام وأعالي العراق أي المواضع التي كانت غالبية أهلها على النصرانية يومئذ وجعلوا أكثر كلامهم وسؤالهم مع الرهبان" وكان من هؤلاء المتحنفون شعراء أعرضوا عن الدنيا فكان شعرهم تمثيلا للنزعة الفردية الروحانية. قال زيد بن عمرو بن نفيل وهو ابن عم عمر بن الخطاب ومن أصحاب التحنف:

وأسلمت وجهي لمن أسلمت	له الأرض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما رآها استوت	على الماء أرسى عليها الجبال
وأسلمت وجهي لمن أسلمت	له المزن تحمل عذبا زلالا
إذا هي سبقت إلى بلدة	أطاعت فصبت عليها سجالا

#### المعلقات السبعة

وهي أشهر القصائد الجاهلية وقد اختلف العلماء في جمعها وتسميتها. أما التقليد العربي فهي أنها سبع قصائد جمعها الجاهليون لاستحسانهم إياها. فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على أستار الكعبة. هذا ما ذهب إليه ابن عبد ربه وابن رشيق وابن خلدون وغيرهم. إلا أن أبا جعفر النحاس قد أنكر هذا الرأي وذهب إلى أن حماد الراوية هو الذي جمع هذه القصائد وسماها المعلقات في مطلع القرن العباسي وذهب مذهبه كثيرون من العلماء المحدثين ولا سيما المستشرقين منهم فرأى بلاشير أن عدة مجموعات من الشعر ظهرت في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) بفضل علماء العراق كان مصدرها المجموعات الشعرية التي عرفت عند القبائل ولا يحتوي المنتخب منها في بدء الأمر سوى ست أو سبع قصائد حتى غلب العدد الأخير لما لعدد السبعة من الأهمية والتقدير عند الساميين عامة والعرب خاصة. ثم كانت جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي في أواخر القرن الثاني للهجرة وفي مقدمتها المعلقات وهكذا ظهر اسم المعلقات منذ ذلك القرن.

ويشك بلاشير في رواية صاحب الجمهرة وينسبها إلى حماد الراوي وهو يقول " يظهر أن علماء العراق في القرن الثالث للهجرة كانوا يجهلون أصل التسمية والأسطورة التي رافقتها فلم يشر إليها ابن الكلبي ولا مؤرخو مكة ولا من ورد ذكره من الأعلام في كتاب الأغاني. ولما جاء المستشرقون وقفوا الموقف ذاته مستندين على حجج تاريخية بيد أنهم يترددون في قبول معنى المعلقات .

ولكن هذه الآراء والبراهين غير مقنعة وليس عندنا من الأدلة ما يسقط التقليد العربي ويخرج المعلقات عن كونها قصائد استحسننت في الجاهلية وكتبت على القباطي وعلقت على أستار الكعبة أو في مكان آخر تقديرا لأصحابها واعترافا بجودتها. ثم إن ما ذكره أبو جعفر النحاس من أن حماد هو الذي جمع السبع الطوال لا يمنع أن يكون حماد قد جدد جمع ما سبقه إليه الأولون. أضف إلى ذلك أن البيهقي روى في خزائنه عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال: "قصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة الحارث بن حلزة من مفاخر العرب كانتا معلقتين بالكعبة دهرًا".

وتعرف بأسماء مختلفة منها "المعلقات السبع" و"السبع الطوال" و"المذهبات" و"السموط". وأما أصحابها عمرو القيس بن حجر الكندي وطرفة بن العبد البكري وزهير بن أبي سلمى المزني ولييد بن ربيعة العامري وعمرو بن كلثوم التغلبي وعنتر بن شداد العبسي وحارث بن الحلزة.

## أصحاب المعلقة السبع

امرؤ القيس: (500-540)

هو جندح بن حجر الكندي الملقب بامرؤ القيس يقال له "الملك الضليل" و"ذو القروح" ولد بنجد نحو سنة 500 من أصل يمني. وكان أبوه ملكا على بني أسد وغطفان، وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت كليب والمهمل التغلبيين. فنشأ نشأة ترف ومجنون ونظم الشعر الإباضي. فردعه أبوه فلم يرتدع، فطرده من بيته، فراح يجوب الآفاق في عصابة من الذؤبان والشذاذ، إلى أن ثار بنو أسد بأبيه وقتلوه.

حلف امرؤ القيس بأن لا يغسل رأسه ولا يشرب الخمر حتى يدرك ثأر أبيه من بني أسد. فقال "ضيعني أبي صغيرا وحملتني دمه كبيرا لا صحو اليوم ولا سكر غدا، اليوم خمر وغدا أمر". وأخذ يجمع العدة ويستجد القبائل ولا سيما أخواله بكر وتغلب، ثم سار إلى بني أسد فأوقع بهم وقتل منهم خلقا كثيرا. ففر امرؤ القيس وسار في قبائل يطلب النجدة في غير جدوى وقد سمي لذلك "الملك الضليل" ومات نحو سنة 540 ودفن في أنقرة إحدى مدائن الروم، وسمي لذلك "ذو القروح".

طبع ديوانه الأول في باريس ثم في ممباي ومصر وأشهر ما فيه "المعلقة" وهي من أصح ما بقي له. ومن أكبر ما في ديوانه تمثيلا لحاله ونفسيته. وشعره قسمان: قسم للهو وتشرده، وقسم لسخطه وطلب ثأره. يوم دارة جلجل هو السبب المباشر لنظم المعلقة، وفيها ثلاثة أقسام: الوقوف بالأطلال، وذكرى اللقاء دارة الجلجل، وأوصاف لمشاهد مختلفة: الليل، الوادي، الفرس. حلل امرؤ القيس معلقته في الوقوف بالأطلال ومأسات الصحراء البكري وصراع البقاء والغناء. وفي اللوحة الصحراوية حسية بدائية ملموسة وسذاجة فطرية عذبة. وتحليل مشهد دارة الجلجل تغور صورة الصحراء في صورة الحياة الملكية. توفي امرؤ القيس بالقرب من أنقرة عام 544 م.

طرفه بن عبد: (543-569)

عمر بن العبد الملقب طرفه من بني بكر بن وائل. ولد في البحرين نحو سنة 543 في أسرة كثر فيها الشعراء. فنشأ لاهيا بيدد ماله في السكر والمجون، فطرده قومه وراح يضرب في البلاد منتشردا، ثم عاد إلى قومه فأرعوه الإبل.

هجا طرفه عمرو بن هند ملك الحيرة فاضطغن الملك عليه حتى إذا ما جاءه هو وخاله المتلمس يتعرضان لفضله أظهر لهما البشاشة وأمر لكل منهما بجائزة، فكتب لهما كتابين وأحالهما عامله بالبحرين ليستوفياها منه وبينما هما في الطريق ارتاب المتلمس في صحيفته، فعرض على غلام يقرأها له ومضى طرفه، فإذا في الصحيفة الأمر بقتله، فحاول اللحاق بطرفه ليخبره فلم يستطع، وفر إلى ملوك غسان وذهب طرفه إلى عامل البحرين فقتل هناك نحو سنة 569، ولم يتجاوز السادس والعشرين من عمره. وهكذا مات طرفه في ربيع الحياة، ولم يتح له أن يعطي للأدب ما كان باستطاعته لأن موهبته الشعرية التي تفتحت منذ عهد الطفولة كانت من أعظم المواهب التي عرفتها الجاهلية. كان ديوانه صغيرا أشهر ما فيه المعلقة، وهي دالية تقع في 104 أبيات، وفيها شتي الأغراض الشعرية الجاهلية، هو شاعر الوصف والغزل والمدح.

زهير بن أبي سلمى: (627م)

هو زهير بن أبي سلمى ربيعة من مزينة المضريّة. ولد بنجد نحو سنة 530م، ونشأ في غطفان، وأخذ الشعر والحكمة والترصن عن بشامة خال أبيه، وكان شيخا مقعدا، وغنيا برجاحة العقل والمال، فلزمه زهير وحفظ له، كما تتلمذ لزوج أمه أوس بن حجر وإتخذ طريقتة في الشعر.



تزوج زهير بن أبي سلمى من أم أوفى، ولم يكن له منها أولاد فطلقها واقترن بكبشة التي أنجبت له شاعرين هما: كعب وبجير.

وإنقطع زهير لسيد شريف اسمه هرم بن سنان فمدحه وتغني بكرمه وحبه للخير والسلام، وتوسطه بالصلح بين قبيلتي عبس وذبيان في حرب السباق، وقد أصدق عليه هرم العطايا.

وتوفي زهير نحو سنة 627م وله من عمر نحو 97 سنة قضاها رزينا حكما داعيا إلى الخير والصلاح، منصرفا إلى الحق بكل جوارحه. وكان رجل العقل والالتزان يكره الحرب والمناوشات القبلية، ويدعو إلى الترصن والتعالي عن الأحقاد والتقاليد البدوية التي تبيح الغزو، وتفتح باب النزاعات والخصومات واسعا.

طبع ديوانه في لندن سنة 1870م ثم طبع في لندن سنة 1888م مع شرح الأعلام الشنمري، ثم في مصر 1323هـ. وقد إنطوى علي مدح لهرم بن سنان وأبيه وقومه، ومدح لحارث بن عوف، كما إنطوى على بعض الهجاء والفخر. وأشهر ما فيه المعلقة. كانت معلقته مشهورة جدا بين قبائل الجاهلية وأشعاره تحتوي أفكار الخير والسلام.

### لبيد بن ربيعة: (560-661م)

هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري المضري. ولد نحو سنة 560م ونشأ في قومه كريما شريفا، وفارسا شجاعا. دخل في الإسلام نحو سنة 629م. وقضى أيام شيخوخته في الكوفة. وقد توفي نحو سنة 661م للميلاد وله من العمر أكثر من مائة سنة. وسبب قوله الشعر أن الربيعة بن زياد أمير عبس، وهم أخواله، دخل علي النعمان بن المنذر فذكر بالسوء بني عامر وهم قومه. فلما دخل العامريون علي الملك وعلي رأسهم ملاعب الألسنة غضّ منهم، وذوي وجهه عنهم، فنال ذلك من بني عامر وشق عليهم. فنفر منه الملك وطرده وأكرم العامريين وأدناهم. قالوا وكان هذا أول ما اشتهر به لبيد. ثم أخذ يقول الشعر قصاره وطواله، حتى ظهر الإسلام فأقبل علي الرسول في وفد من قومه فأسلم، وحفظ القرآن وهجر الشعر، حتى زعموا أنه لم يقل بعد الإسلام إلا بيتا واحدا، وهو:

الحمد لله إذا لم يأتني أجلي  
حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

معلقته فهي قوية الألفاظ متينة الأسلوب تصور حياة البادية وأخلاق البدو، وتصف هوى النفوس الماجنة ومطمح القلوب الكبيرة. بدأها بوصف الطلول وذكرى الحبيبة، ثم أطل بوصف ناقته علي نحو ما فعل طرفة، ثم مضى يصف حياته وملذاته ووجوده وبأسه حتى انتهى إلى الفخر بقومه، وكل ذلك في صدق وإخلاص وقصد.

### عمر بن كلثوم (توفى سنة 600)

هو أبو الأسود عمر بن كلثوم بن مالك التغلبي. وأمّه ليلي بنت المهلهل أخي كليب. نشأ عزيز الجانب أنوفا معجبا بنفسه أشد الإعجاب، وساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة، وقاد الجيوش مظفرا. ولما قامت المساحة بين بكر وتغلب واحتكموا إلى عمرو بن هند وقف عمر بن كلثوم مدافعا عن قومه، وما أن فرغ بدأ إنشاء قصيدته حتى ظهر له هوى الملك مع بكر، فأنصرف وفي نفسه ما فيها. ثم خطر في نفس ابن هند أن يكسر من أنفة تغلب بإذلال سيدها عمرو بن كلثوم، فدعاه هو وأمّه ليلي، وأغرم هذا أمه أن تستخدمها في قضاء أمر، فصاح ليلي: " واذلاه يا لتغلب " فسمعها عمر بن كلثوم فثار به الغضب وقتل ابن هند في مجلسه، ثم رحل توا إلى بلاده بالجزيرة الفراتية، وأضاف إلى معلقته قسما بين فيه منهجه على عمرو بن هند في صورة واضحة.

معلقته ، نونيه على البحر الوافر في نحو مائة بيت قال القسم منها يوم الاحتكام ، والقسم الثاني بعد ما ثار بعمر بن هند وقتله . فالقسم الأول فقد طواه الشاعر على مقدمة تقليدية ذكر فيها الخمرة كما ذكر الحبيبة وخاطبها ووصفها . وطواه بنوع خاص على المفاخرة دفاعا وتهديدا . والقسم الثاني فكلام الثورة العارمة على عمر بن هند وفيه كثير من الفخر ، والأنفة ، والتأني للعار .

#### عنترة بن شداد (525هـ/915م)

هو عنترة بن عمر بن شداد العبسي أحد فرسان العرب وشعرائها المشهورين ولد في نجد نحو سنة 525 . وكانت أمه أمة حبشية اسمها زبيبة وأبوه من سادات عبس . وكان من عادات العرب أن لا تلحق ابن الأمة بنسبها . بل تجد كله في عداد العبيد، ولذلك عاش عنترة منبوذا بين العبيد ، يرعى الإبل والخيل، إلا أن نفسه الكبيرة أبت إلا أن تكون في أجواء الحرية والشهامة ، فراح يمارس الفروسية ولم يمض زمن إلا وعنترة فارس شجاع . وحدث في أحد الأيام أن لأغار بعض العرب على قوم من بنى عبس لأصابوا منهم ، فتبعهم العبسيون ، فلهوهم فقاتلوهم عما معهم ، وعنترة فيهم فقال له أبوه: " كر يا عنترة! فقال عنترة : " العبد لا يحسن الكرة ، إنما يحسن الحلاب الحر" ، فقال " سر وأنت حر " فكر وقاتل قتالا شديدا حتى هزم القوم و استنقذ الإبل ، فدعا أبوه بعد ذلك والحق به نسبه .

ومشى عنترة في طريق المجد يقارع الفوارس في حرب داحس والغبراء (حرب السباق) وفي نفسه أشياء من ابنة عم أحبها وتهالك في حبها ، فنفرت منه لسواده وأصله واستعكاف أن قتل سنة 65 وله منها العمر تسعون سنة .

لعنترة بن شداد ديوان شعر أكثر في الفخر والحماسة والغزل العفيف . وقد كثر المنحول فيه كما تعددت الروايات في الثابت منه . والمعلقة أشهر ما في أنه ديوان وهي قصيدة طويلة تقع في نحو تسعة وسبعين بيتا من البحر الكامل . وهكذا نجد لشعر عنترة وجهين هامين: وجهها غنائيا وجدانيا ، ووجهها قصصيا ملحميا . والوجهان المختلفان ممتزجان ، لا يقوم الواحد بدون الآخر ولا يفهم الواحد إلا مع الآخر .

#### حارث بن حلزة: (توفى نحو سنة 580)

هو الحارث بن حلزة اليشكري البكري ، لا نعرف من أخباره إلا أنه اغتاز يوم الاحتكام لانحياز ملك الحيرة إلى تغلب وإنه كان في المجلس مستورا عن الملك بستار لما كان فيه من البرص، وأنه أنشد قصيدته المعلقة ، مرتجلا بعضها ارتجالا ومفاخرا بقومه وما لهم من المآثر الحميدة . وإنه لشدة بلاغته استطاع أن يسطر على الموقف أن يستميل الملك إلى جانب البكر . قيل إنه أنشد معلقته وله من العمر نحو مائة وخمسة وثلاثين سنة .

معلقته هي همزية تقع في 85 بيتا على البحر الخفيف مطالعها:

ولمعلقة الحارث بن حلزة غرض دفاعي وطمع في استمالة الحكم . وقد ضمنها مقدمة تقليدية فيها غزل ووقوف بالديار ووصف للناقة ، ثم انتقل إلى دفاعه ففند أقوال التغلبيين وبين ما في إوعاتهم من كذب وما في آثارهم من كل وصف ثم أقام موازنة بين مفاخر البكريين ومخازئ التغلبيين .

#### رؤساء العصر الجاهلي:

#### النابغة الذبياني : (توفى نحو سنة 604م)

هو أبو أمامة زياد بن معاوية من ذبيان ، وأمه عاتقة بنت أنيس من أشجع الجاهليين لقب بالنابغة لسبب اختلف فيه العلماء اختلافا شديدا ، فقد يكون تقديرا عند الجاهليين لمن يتوقف عن صفات وقوى ذاتية لا وراثية . أما مكان ولادته غطفان أي في إحدى نواحي نجد بين الأحرار والأودية ، وفي قلب المجتمع البدوي ، وامتدت به الأيام حتى أدرك المنذر الثالث بن ماء السماء ملك الحيرة (505-554) ومدح خلفائه من بعده ورثى النعمان بن الحارث الغساني سنة 600م . وسبع بمقتل النعمان بن المنذر على يد كسرى أنوشروان سنة 606م . وهكذا قد تكون وفاة النابغة حوالي سنة 604م أي قبل إنشاء حرب داحس والغبراء بأربع سنوات .

نشأ الشاعر كما ينشأ فتيان الحي في قبيلة بين الإبل والشتاء. وبين الحل والترحال، لا يعرف من الوجود إلا أودية نجد وما يأتي به الركبان من أحاديث وأخبار. وكل ما رواه لنا الرواة من أحداث تلك الحقبة أن الفتى علق فتاة إسمها ماوية كانت على جانب من الجمال، فزاحمه في حبها رجل من النبييت وحاتم الطائي صاحب الكرم والجود، وكان النصر في خطبتها لهذا الأخير، مما أوغر صدر الشاعر وحمله على نظم بعض الأبيات يزكى بها نفسه لدى الفتاة.

النابعة أحد فحول الشعراء الثلاثة الذين لا يشق عبارتهم، ولا تلحق آثارهم، وهو امرؤ القيس والنابعة وزهير. ويمتاز من صاحبيه بديع كنايته، ودقيق إشارته وصفاء سذاجته، وقلة تكلفه وموافقة شعره لهوى النفوس. ولهذا لم يغن الناس بشعر أحد في الجاهلية وصدر الإسلام بمثل ما غنوا به من شعرة. وقد أجال في وصف ليل الخائف، واعتذار الجاني، ومدح المنعم، إلا أنه كان يقوى في شعره ويقول: إن في شعري عامة لا أدريها، حتى سمع مغنيا يغني بأبيات من شعره فيها اقواء، ففطن إلى ذلك ولم يعد إليه. وقد عرف شعراء العرب له تلك المكانة السامية في الشعر فقدموه في عكاظ واحتكموا إليه في الخصومات الأدبية فكان يقضى بينهم موفق القضاء مطاع الحكم.

#### حاتم الطائي (578م 605م)

هو أبو سفانة حاتم بن عبد الله من قبيلة طي، اشتهر بالجود والكرم والسماحة حتى ضرب به المثل وقيل "أجود من حاتم الطائي" واشتهر أيضا بالفروسية والشعر. ويبدو أنه ورث الكرم عن أمه. وهكذا كان حاتم وجها من أجمل الوجوه التي تمثل الروح العربية في أصفى صفائها، وكانت ابنته سفانة سر أبيها تنافسه في العطاء والجود، فتهب الناس كل ما يقمه لها والدها من إبل ومال. وقد حفلت كتب الأدباء بأخبار حاتم الطائي وثنائه، واختلطت فيها الحقيقة بالأسطورة: وتوفي حاتم نحو سنة 605م. ولحاتم الطائي ديوان شعر صغير نشره بالطبع رزق الله حشون في لندن سنة 1876. ثم نشره الأبلويس شيخو في "شعراء النصرانية" سنة 1890م، ثم قام بطبعه و ترجمته إلى الألمانية المستشرق شلتيس (Frienrich Schuthess) سنة 1897م. ثم طبعته مكتبة صادر في بيروت سنة 1953 ومعظمه مدح وفخر ومعظم فخر حاتم بالكرم والجود.

#### الشنفري

هو ثابت بن أوس الأزدي الملقب بالشنفري. وقد عاش صعلوكا ولصا مرهوب الجانب لا معتصم له سوى الجبل، يغير ثم يأوي إليها. يروي، في ما يروي عنه، أنه حلف ليقتلن مئة رجل من بني سلمان، فقتل تسعة وتسعين، ثم احتالو عليه فأمسكه رجل منهم عداء هو أسيد بن جابر ثم قتله، فمر به رجل منهم، فرفس جمجمته، فدخلت شظية منها برجله فتمت مئة، وكانت وفاته في أوائل القرن السادس. والمرجح أنه كان من أغرب الجاهلية وأنه لسبب ما نشب خلاف بينه وبين قبيلة الأزدي فانتقل إلى قبيلة فهم المشهورة بلصوصها. ورأى إذ ذاك أن ينتقم من قبيلته الأزدي فراح يغزوها المرة تلو المرة، وقد جاء في الأغاني انه "كان يغير على الأزدي على رجله فيمن معه من فهم، وكان يغير عليهم وحده أكثر من ذلك".

#### أدبه:

للشنفري شعر في الفخر والحماسة وأشهره ما يسمونه "لامية العرب" وهي قصيدة من 68 بيتا، وإنها وإن لم تكن ثابتة النسبة إليه في مجملها أو في قسم كبير منها، فهي تنطق بلسان البادية الأولى وحياة التشرد والعنفوان، وقد شرحها الزمخشري وترجمت إلى الفرنسية والألمانية والانكليزية.

#### شخصيته:

الفقر والنفس البدو العريضة هما مصدر شعر شنفري. فجفاف الصحراء ومطاردة الشدائد كرا وفرا، والتتكرر للمذلة وإيثار الوحوش على الأهل لأنها أحفظ للسر وأحرص على الجار وإن جار، والاكتفاء بالقليل مادة وسكنا، والصبر على الجوع وإيثار التراب على طعام المتفضلين، ومجارة الأيام والقبول بالفقر والغنى، والارتياح إلى القوس... وأخيرا الاستسلام إلى الضبع طعاما وغذاء وتفضيل ذلك على القبر الضيق... هذا هو ابن الصحراء وابن الطبيعة العربية البدوية. هذا هو الشنفري.

### ميزة أدبه:

لا يختلف أدب الشنفرى عن أدب تأبط شرا مادة ونفسا ولونا محليا وخشونة ألفاظ في رقة عاطفة، كما لا يختلف عنه تدفقا فطريا والتصاقا بالمادة. وإنه لمن الغريب أن نرى في مثل هذا الصعلوك ذلك الانطلاق النفساني وتلك الحكمة الطبيعية، وذلك الترف في الاعتزاز والشرف والكرم وعلو النفس. ولكنها النفس العربية، ولكنها الطينة العربية في تعبيرها الشديد الوطأة، وفي نبضاتها واختلاجاتها الكريمة الأخاذة على ما هنالك من قسوة وخشونة فيقول:

لعمرك ما في الأرض ضيق على امرئ  
سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل  
وإني كفاني فقد من ليس جازيا  
بحسني ولا في قربه متعل  
ثلاثة أصحاب: فواد مشيع  
وأبيض إصليت وصفراء عيطل

### علقة الفحل

هو علقمة بن عبدة من بني تميم، عاصر امرأ القيس وكان له معه مساجلات. اتصل بالحارث بن جبلة بن أبي شمر الغساني، وكان هذا قد أسر عددا من العرب الموالين للخميين، وفيهم شاس أخو الشاعر. فأقبل علقمة على الملك، وامتدحه بقصيدة طويلة، فأطلق له أخاه وجميع أسرى تميم. ولعلقة ديوان شعر صغير شرحه الأعم الشنتمري، وطبعه المستشرق ألبرت سوسين في ليبسغ سنة 1867م، ثم طبع في مصر سنة 1876م. وشعر علقمة قليل ولكن فيه "فحولة" الشعر الجاهلي من متانة، وقسوة أداء، وجرأة تصوير، وجيشان اندفاق. وقد برع علقمة في وصف الفرس، والناقة، والنعامة. توفي علقمة نحو سنة 603م.

### السموأل

#### تاريخه:

هو سموأل بن غريضة بن عادياة إليهودي صاحب المعروف بالأبلىق بتيماء، وبه يضرب المثل في الوفاء لأنه أسلم ابنه ولم يخن أمانته في دروع أودعها عنده امرؤ القيس لما صار إلى القسطنطينية يطلب معونة القيصر. وقد توفي سموأل نحو سنة 560 للميلاد.

#### أدبه:

للسموأل ديوان شعر أشهر ما فيه قصيدته اللامية التي ضمنها من معاني الفخر ما دار على ألسنة منذ الجاهلية إلى اليوم:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه  
فكل رداء يرتديه جميل  
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها  
فليس إلى حسن التناء سبيل  
تعيرونا أنا قليل عدادنا  
فقلت لها إن الكرام قليل  
وما قل من كانت بقاياها مثلنا  
شباب تسامى للعلى وكهول

لامية سموأل من أشهر قصائد العرب في الفخر، يبدو لنا الشاعر من خلالها عالي النفس عزيزها، ينظر إلى كل شيء من عل، لا من كبرياء عمياء، ولا عن غرور صيبياني، بل عن أنفة مكونة من عرض مصون، وكرم أصل، وتسام في صفوف شبان قومه وكهولهم، وعزة جار، ومنعة وشجاعة، وسخاء يد، وتاريخ مجد لا يعدله مجد، وشعر سموأل صورة لتلك النفس الرفيعة بما فيه من متانة في الأسلوب والتركيب، وما فيه من رصانة وجلال.

## النثر الجاهلي

عرف الجاهليون النثر ودونوا بعضه. ولكن نشأته كانت غامضة وروايته مضطربة، وكان حظه من الحفظ أقل من حظ الشعر. فالنثر الجاهلي يتمثل في صورة سجع الكهان والحكمة والأمثال والخطابة والقصص.

**سجع الكهان:** الكهانة كان من الأمور الشائعة في الجاهلية، وكان كل كاهن يزعم أنه سخر له جن يسترق له السمع، فيعرف به المستقبل. وقد نقلت إلينا كتب الأدب طائفة من أقوال أولئك المتكهنين. وهي كلها قائمة على السجع، وإنما وإن شككنا في صحة ما نقل، لا نشك في أن الأسلوب هو أسلوب الكهانة. لأن الكهان كانوا يعتمدون أسلوب التسجيع لموسيقاه الأخاذة، ويكثر من القسم بالأرض والسماء وما إلى ذلك تقوية لأقوالهم ووصولاً إلى الإبهام. وكانوا إلى ذلك يعتمدون الإبهام اعتماداً ويكثر من التقطيع والحذف والإغراب حتى تمتد أقوالهم إلى لون من المعاني ويكثر فيها الاحتمال والتأويل.

**الحكمة والمثل:** ولا شك أن العرب شديد الميل إلى ضرب المثل وإرسال الحكمة لتزيين كلامهم وتقويته. وقد تركوا لنا طائفة جلييلة من تلك الأمثال كانوا يضربونها في شتى أحداث حياتهم وتقلبات أحوالهم، عنى العلماء عصراً بعد عصر بجمعها ورواية ما ترمز إليه من أحداث وأقاصيص. وكان للجاهلية حظ وافر من تلك الأمثال، نسبت إليها، وفسرت برواية أحداثها. والعرب في الجاهلية حاولوا جمع تلك الحكم وهي إما عربية مما قالته حكماء العرب وإما أجنبية مما وصل إلى العرب عن طريق التمازج والأسفار وأصحاب الكتاب. وقد جاء ذكر مثل هذه المجموعات الجاهلية في أخبار كثيرة. والحكيم عند الجاهليين كان بمنزلة الشاعر بل يفوق رتبة. وكانت القبائل ترجع إليه في حالتي الحرب والسلم. فكان الحكيم هو الرجل المثقف ثقافة جامعة لشتى ألوان المعرفة وكان بعض حكماء العرب يورثون الحكمة أبناءهم كما صنع حكماء الشرق القديم حين كانوا يلقنون أولادهم تعاليم الحكمة. ومن أشهر حكماء العرب لقمان الذي ذهب مضرب المثل في الحكمة والتوحيد بين العرب. وهو صاحب مجلة باسمه تدعى "مجلة لقمان" وكان له بين عرب الجاهلية جماعة توحيدية تعرف باسمه. ومن حكماء العرب أكتم بن صيفي التميمي حكيم العرب، وعامر بن الظرب العدواني وكان حكيماً تحتكم إليه العرب.

**القصص:** كان في الجاهلية معلمون يعلمون أخبار الأولين وقصص التاريخ، مثل النضر بن الحارث الذي اكتتب أساطير الأولين وكان يحدث الناس عن ملوك فارس. ومثل أصحاب الكتاب الذين كانوا يروون أخبار الأنبياء. أضف إلى ذلك أن العلماء أثبتوا لبعض القبائل الجاهلية كتباً تضمنت مجموعات شعرية لشعرائها ثم بعض الأخبار والنسب والقصص والأحاديث مما يتصل بالشاعر نفسه، أو ببعض أفراد قبيلته، وما يوضح مناسبات القصائد، ويفسر بعض أبياتها، ويبين ما فيها من حوادث تاريخية. فيجئ كتاب القبيلة بذلك سجلاً لحوادثها ووقائعها وديواناً لمفاخرها ومناقبها ومعرضاً لشعرائها. وفضلاً عن ذلك فقد روى الجاهليون أخبار العرب البائدة، وأخبار سد مأرب وسيل العرم، وأخبار القصور، وعام الفيل، وأيام العرب وبطولاتهم، وما إلى ذلك مما مزجوا في أكثره التاريخ بالأسطورة. وأيام العرب هي حروب وقعت في الجاهلية بين القبائل لأسباب تافهة مثل حرب البسوس التي نشبت بين قبيلتي بكر وتغلب وحرب داحس والغبراء التي وقعت بين قبيلتي عيس وذبيان. فهذه القصص مرآة صافية لأحوال العرب وعاداتهم، وأسلوب الحياة الدائرة بينهم، وشأنهم في الحرب والسلم.

**الخطابة:** العربي خطيب من طبيعته، تأتيه الخطابة عفوا وتشيع أساليبها حتى في شعره. والخطابة عند الجاهلي بمقام الشعر، فهي كالشعر لسان الدفاع عن القوم، والتحريض على القتال ونصرة الضعيف، ورسالة الملوك والأمراء التي يحافظون ببلاغتها على سلطانهم ونفوذهم، وكلمة الخبرة والعبرة إلى الناس نورا وهديا. وكان الخطيب زعيم قومه أو عالمهم أو شاعرهم أو حكيمهم. إذا كان العرب أميين في أكثرهم، ذوي غزوات متواصلة، بعيدين عن أساليب الطباعة والصحافة، كانت الخطابة أسهل الطرق إلى إثارتهم ونشر الدعوة فيهم وإقناعهم، وقد ساعد على ذلك ما هنالك من أسواق واجتماعات، وما للعرب من فصاحة وبلاغة فطرو عليهما، فتعدد الخطباء وكان لهم في كل محفل مواقف، وفي كل منقلب من منقلبات الحياة منابر ومعابر.

والخطابة في الجاهلية اندفاق فيضي دعت إليه البيئة، وبعثته الطبيعة الغنية وقد بقي لنا منها بعض الشيء دونه العرب في الجاهلية كما دونوا بعض الشعر. وقد شاعت الخطابة في الجاهلية شيوعا شديدا لتوافر العوامل والدواعي، وأصبح الخطيب سيذا في قومه يأمر فيطاع، ويدعوا فيجاب. وكانت لهم في الجاهلية ندوات لكل كبيرة وصغيرة، يجتمعون فيها للتشاور ويخطب فيها الخطباء، ومن أشهرها "دار الندوى" لرؤساء قريش. وكان للجاهليين إلى جانب الندوات أسواق مشهورة يجول فيها الخطباء والشعراء جولاتهم الأدبية. وكان للندوات والأسواق أثر فعال في شيوع الخطابة وازدهارها.

وفضلا عن ذلك فإن حياة الصحراء وما تقتضيه من بطولات، وما تدعو إليه من فروسية، وتنازع البقاء وما يستدرج إليه غزو وقتال، والعصبية والقبلية وما تحمل عليه من مفاخرات ومنازعات ... كل ذلك كان مسرح نشاط للخطابة، وميدان سباق في حلبة البلاغة. وهناك الوفود من قوم إلى قوم، ومن قبيلة إلى قبيلة، في سبيل مناظرة أو دفاع، والوفود من قبيلة إلى ملوك اليمن أو الحيرة أو فارس أو غسان، في سبيل الذود عن الحياض، أو المطالبة بالحقوق، وكل ذلك حافز للخطابة يعلى شأنها ويمجد سلطانها.

## مشاهير الخطباء والحكماء في الجاهلية

### قس بن ساعدة الأيادي

كان من نجران في اليمن، وكان له شقيقان يعبدان الله معه فماتا ودفنهما معا، وكان يتردد على قبريهما ويندبهما. وقد شاع أنه من إباد، وهي قبيلة عدنانية، وإنه كان يقف في عكاظ واعظا ومرشدا، وكان يفد على القبصر من حين إلى حين فيكرمه، ولكنه صدف عن الدنيا وتزهد وعاش على الكفاف متعبدا وداعيا إلى التقوى والتبصر في حقيقة الدنيا والتأهب للأخرة. وقيل إنه عمر طويلا وإن النبي سمعه في عكاظ فأثنى عليه، وإنه قال فيه "رحم الله قسا! إنني لأرجو يوم القيامة أن يبعث أمة وحده".

وكان قس بن ساعدة خطيب العرب وشاعرها وحكيمها في عصره. ويقال إنه أول من خطب على شرف واتكأ على سيف أول من قال "أما بعد". وما روي لنا من خطبه وحكمه يدل على اعتماد قس الأسلوب المسجع القريب من أسلوب الكهان في سجعهم، ويكثر من التهويل، وضرب الأمثال، وتعزية الحقائق المصيرية، بألفاظ يتخيرها، وفواصل قصيرة تتلاحق في سرعة، وموسيقى لفظية ينقض بها على سامعيه انقضاضا لكي يقتلعهم من ذواتهم المادية وينقلهم إلى ذواتهم الروحية، فيرتفعوا من صنميتهم إلى عبادة الله الحق. وهكذا فخطابته كانت رسالة تبشيرية توظف الضمائر وترغب في الخير والحسنى.

ومن أقواله: "أيها الناس اسمعوا وعوا، انه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت... إن في السماء لخبر، وإن في الأرض لعبر... يا معشر إباد، أين الآباء والأجداد؟ وأين الفراعنة الشداد؟ ألم يكونوا أكثر منكم مالا، وأطول منكم آجالا؟ طحنهم الدهر بكلكله، ومزقهم بنطاوله!

### أكثم بن صيفي

وهو ابن رباح بن الحارث التيمي، وإنه أشهر حكماء العرب ومن خطبائهم في الجاهلية، عرف بنزاهته وبره فكان العرب يتقاضون إليه ولا يردون له حكما، وكان رفيع المكانة في قومه، عالما بالأنساب، سديد الرأي، قوي الحجة. قيل إن كسرى أنوشروان رآه وسمع كلامه فقال: "لولم يكن للعرب غيره لكفى" وقيل إنه عمر طويلا وإنه قصد المدينة ليسلم فتوفي في الطريق، وكان ذلك نحو سنة 630م.

ولأكثم بن صيفي خطب وأمثال لم يبق لنا منها إلا نتف لا تروي من عطش الباحث. والذي نستخلصه منها أن أكثم بن صيفي مثال الرصانة ورجل العقل يتخذ وسيلة للتأثير والإقناع، والعقل عنده عقل تفكير ولا عقل منطوق. وكان بعض الملوك يرسلون إليه يستكتبون حكمته، فقد كتب إليه ملك هجر أو نجران أن يكتب إليه بأشياء ينتفع بها، وأن يوجز فكتب إليه: "إن أحقق الحمق الفجور، وأمثل الأشياء ترك الفضول".

### عمرو بن معدي كرب الزبيدي

هو فارس اليمن وخطيب العرب. التقى النبي (ص) لدى منصرفه من تبوك سنة 9 هـ فأسلم هو وقومه، ثم ارتد عن الإسلام، ثم رجع إليه وجاهد في سبيله، وشهد القادسية وله من العمر نحو مائة وعشر سنين. كان سيدا مطاعا في قومه كما كان خطيبا وشاعرا. ومن أقواله أمام كسرى أنوشروان بالمدائن قوله: "إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فبلاغ المنطق السداد، وملاك النجعة الارتياح، وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة، وتوقيف الخبرة خير من اعتساف الحيرة. فاجتنب طاعتنا بلفظك، واكتظم بادرتنا بحلمك، وألن لنا كنفك بلن لك قيادنا..."

## المناقشة

### أجب في جملة أو جملتين:

- (1) كيف يرد العلماء اللغات السامية؟
- (2) ما هي أقرب اللغات إلى لغة الأم من اللغات السامية؟
- (3) ما هي الأسواق المشهورة في العصر الجاهلي؟
- (4) ما المراد بقول "الشعر ديوان العرب"؟
- (5) ما هو الإسم الآخر للمعلقات السبع؟
- (6) ما هي أغراض الشعر الجاهلي؟
- (7) من المعروف باسم "الملك الضليل"؟
- (8) لماذا سميت المعلقات باسمها؟
- (9) من كان فارس اليمن وخطيب العرب؟
- (10) من الخطيب الجاهلي الذي شهد القادسية؟
- (11) من قال هذا " إن أحرق الحمق الفجور وأمثل الأشياء ترك الفضول"
- (12) من الذي قال "أما بعد" أولاً من الخطباء الجاهليين؟
- (13) ما هي "دار الندوى" التي كانت قائمة في العصر الجاهلي؟
- (14) ما هي أنواع النثر الجاهلي؟
- (15) بمن كان يضرب المثل في الوفاء من الشعراء الجاهليين؟
- (16) من كان شاعر الصعلوك من الشعراء الجاهليين؟
- (17) بمن كان يضرب المثل في السماحة والكرم من الشعراء الجاهليين؟
- (18) من الشاعر الذي كان العرب يحتكمون إليه في الخصومات ويقضي بينهم؟
- (19) من الشاعر العبد الذي أصبح حراً في أيام حرب داحس والغبراء؟
- (20) من الشاعر الذي أسلم ولم يكتب الشعر بعد إسلامه؟

### أكتب مذكرة وجيزة حول الآتية:

- (1) حرب داحس والغبراء
- (2) حرب البسوس
- (3) أسواق العرب
- (4) القصيدة الجاهلية
- (5) المجتمع الجاهلي



**أكتب مذكرة وجيزة حول الشعراء الآتية:**

- (1) إمرؤ القيس
- (2) زهير بن أبي سلمى
- (3) النابغة الذبياني
- (4) حاتم الطائي
- (5) الشنفرى

**أكتب مقالة حول الآتية:**

- (1) الأحوال السياسية والاجتماعية في العصر الجاهلي
- (2) المعلقات السبع وأصحابها
- (3) أيام العرب
- (4) نشأة اللغة العربية
- (5) الشاعر الجاهلي ومنزلته

## الوحدة الثانية

### الشعر في صدر الاسلام

حدثت الاسلام انقلابا فكريا واسعا وكبيرا وترك اثارا طيبة وعميقة في النفوس فقد رفعت راية الدين عاليا وانحطت مفاهيم الضلالة والجهالة والاحاد والترف والمجون وقد حدث هذا الانقلاب في كل امور الحياة فقلبها راسا على عقب ولا عجب في ذلك واصيب الشعر العربي بشيء من هذا التغيير

#### موقف الاسلام من الشعراء

وقف الاسلام من الشعر والشعراء الموقف الحازم وقيد الشعر بقيود الاسلام والدين الجديد بعد ان كان في الجاهلية طليقا ينشد الشاعر ما يريد وفي أي غرض يشاء فقد حد الاسلام هذه الاغراض فألزم الشعراء بقول الصدق وعدم المبالغة – وقد قيل سابقا اعذب الشعر اكذبه - وهذا الموقف اضعف الشعر حتى ادى الى ان يهجر بعض الشعراء الشعر وقد سبق ذكر ليبيد الشاعر الجاهلي وتركه قول الشعر في الاسلام وقيل انه لم يقل في زمن الاسلام الا بيتا واحدا :

الحمد لله الذي لم ياتني اجلي حتى كساني من الاسلام سربالا

وقف القران الكريم – دستور الاسلام - موقفا شديدا من الشعراء – ( والشعراء يتبعهم الغاوون \* الم تر انهم في كل واد يهييمون \* وانهم يقولون ما لا يفعلون)- سورة الشعراء الايات 224 و225 و226 فقد وصفهم بانهم يقولون ما لا يفعلون وانهم من تبعهم هم الغواة وهم اللاهون ممن لم يدخل الايمان في قلوبهم على انه استثنى منهم من كرس حياته لرفعة الاسلام وسار على ركبته وهم الشعراء الذين دافعوا عن الاسلام وناقحوا عن الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه الابرار الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا ( سورة الشعراء الاية 227).

والنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم نبي الاسلام وصاحب الرسالة لا غرو ان يقف الموقف ذاته الذي وقفه القران من الشعراء الجاهليين الغاوين الا انه ساعد شعراء الاسلام وشجعهم على قول الشعر ليرد بهم على اعداء الاسلام والمسلمين وهو القائل صلى الله عليه وسلم – ان من الشعر لحكمة – فالشعراء هم اللسان الناطق في ذلك الوقت فكان من شعراء الاسلام حسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك وكانت أسلنتهم سيوف مصلّنة في وجوه الكافرين ونحورهم

دافع شعراء الاسلام الدفاع البطولي عن دينهم واخوتهم من المسلمين بعد ان نال منهم ومن أغراضهم شعراء الكفر والشرك في هجائهم للاسلام والمسلمين لذا فالشعراء العرب قسم امن بالرسالة المحمدية السمحاء ودافعوا عنها وهم الذين وصلت اشعارهم إلينا والتي لا تزال بين ايدينا في اغلبها والقسم الاخر هم الذين بقوا على جاهليتهم على الكفر والاشراك بالله تعالى وهم الذين لم يصل شعرهم إلينا لتخرج الرواة في نقله وروايته لما فيه من هجاء مقذع للمسلمين والاسلام.

#### أساليب الشعر

لقد اكتسى الشعر الاسلامي بطابع اسلامي محض واستقى من القران الكريم الالفاظ والمعاني النبيلة من صدق القول والخلق القويم فكان الشاعر الاسلامي يعيب على الجاهليين ان هجاهم الكفر والفسوق والعصيان واعمال الشرك واعمال الشر التي حرمها الاسلام من شرب خمر وقمار ونصب وازلام وفواحش ويمدح في المسلمين العمل الصالح الايمان بالله تعالى وقيامهم بالعبادات والطاعات والاخلاص لله تعالى بالعمل الصالح والكلام الطيب مشيدا بصفات الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ويدعو للجهاد في سبيل الله يفتخر بانتصارات المسلمين ويرثي موتاهم بان لهم الجنة التي وعدهم الله تعالى اياها.

## بناء القصيدة

ظل بناء القصيدة العربية في العصر الإسلامي الأول كما كان عليه في العصر الجاهلي تستهل بالغزل وذكر الاحبة في اغلب الاحيان ثم تنحدر من غرض الى اخر حسب مشيئة الشاعر ورغبته وسياق القصيدة ومعنى هذا ان القصيدة الإسلامية شاملة متعددة الاغراض كما في الجاهلية وخاصة القصائد الطوال وقد حافظت على بنائها في هذا العصر من حيث التنسيق والترتيب والوزن والقافية الا ان كلماتها تغيرت ودخلت إليها كلمات جديدة هي الجنة والنار والجزاء في الآخرة والبعد عن ذكر الكلمات التي لا تتجاوب مع الدين الجديد

وقد تميز هذا العصر بعناية الشعراء بشعرهم وتنقيحه وتحسينه كما كان يفعل زهير بن ابي سلمى في الجاهلية حيث يعتني بشعره ويراجعه من حين لآخر.

## أثر الاسم على الشعر العربي

قصد بعصر صدر الإسلام : الفترة التي تبدأ بظهور الإسلام إلى نهاية عصر الخلفاء الراشدين والشعر كما نعلم هو لغة الوجدان، وقد كان لظهور الإسلام أثر عظيم في إثراء وجدان الشعر ، فانطلق فريق يؤكد الدعوة الإسلامية ، ويدافع عنها، ومن أبرز شعراء هذا الفريق " كعب بن مالك " و " حسان بن ثابت " كما كان هناك فريق آخر من المشركين يعارضون شعراء الإسلام

واتسم الشعر في هذه الفترة بما يسمى " الروح الديني " فظهرت أغراض جديدة لم تكن موجودة في العصر الجاهلي، كالدفاع عن الدعوة الإسلامية، والتوجيه الى العمل الصالح ، والإشادة بالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والحث على الجهاد، وثناء من استشهدوا في سبيل الله ، والفخر والانتصار بالفتوحات. وظهر أيضا من أغراض الشعر في هذه الفترة : شعر المغازي والفتوح ، تحدث فيه الشعراء عن المعارك وامتدحوا البطولة والفداء. وفي تلك الفترة كاد الشعراء ينصرفون عن الاغراض التي كانت تجافى روح الدعوة ، كالفخر بالباطل، والهجاء القلبي ، والمدح المتملق ، ووصف الخمر ، ومجالس اللهو والغناء ، والغزل الصريح.

وقد كان للقرآن الكريم وحديث رسول الله الكريم أثر واضح في الشعر ، فاستمد منه الشعراء الكثير من الالفاظ والاساليب ، والمعاني والخيال. كان من الطبيعي أن يحدث الدين الإسلامي نقلة نوعية في الشعر العربي، لأن الدين الإسلامي ارتكز على جملة من الضوابط الأخلاقية السامية، حاملاً معه المودة والتسامح والنخوة والإباء، والقيم التليدة، نابتاً الفسق والفجور والنميمة، والحقد والكراهية، وقد تغيأ الدين الحنيف بالبعث والثواب والعقاب والجنة، وقد تجلى ذلك في آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وأفواه الصحابة، لذلك كان لا بد من أن يؤثر تأثيراً جلياً في موضوعات الشعر المختلفة فبرزت سمات الزهد والتقوى والورع، ومخافة الله، وقد اتخذ الغزل الطهر والنقاء والصفاء بتأثير الإسلام مما هيا لذبوع وشيوع الغزل العذري ما أصفى على الرجل والمرأة ضرباً من الاحترام والتقدير، ووهب المرأة الجلال والوقار، ولذلك لجأ الشاعر إلى الشكوى مما أصابه من تباريح الحب التي كشف عن الألم والعذاب والاكثواء بنيران الحب، وتتمثل هذه الشكوى بالتضرع إلى سبحانه تعالى كما في قول جميل :

إلى الله أشكو لا إلى الناس حبها ولا بد من شكوى حبيب يروع  
ألا تتقين الله فيمن... قتلتته فأمسى إلىكم خاشعاً يتضرع  
فيا رب حبيبي إليها وأعطني لمودة منها أنت تعطي وتمنع

ومن اللافت للنظر والانتباه أن شعر الحماسة كان أكثر تأثيراً بالإسلام من شعر الهجاء والمديح فكان يستخدم أكثره في الجهاد حيث يرفد صفوف المحاربين عدد من القصاص والوعاظ يحثون على الاستشهاد في سبيل الله، والفوز بالجنة مما يجعل للقصيدة مواعظ خاصة كقول الشاعر نصر بن سيار:

دع عنك دنيا وأهلاً أنت تاركهم ماخير دنيا وأهل لايدومونا  
وأكثر تقى الله في الأسرار مجتهداً إن التقى خير ما كان مكنونا  
واعلم بأنك بالأعمال... مرتهن فكن لنا كثير الهم محزوننا  
وامنح جهادك من لم يرج آخره وكن عدواً لقوم لا يصلوننا  
فاقتلهم غضباً لله.. منتصراً منهم به ودع المرتاب مفتوننا

ويعرض الشاعر كعب الأشقر في قصيدته فكرة محاربة فرقة خرجت عن طريق الهدى ولذلك

يدعو إلى الاستبسال في الحرب والنيل من هذي الفرقة التي زاغت أعينها عن طريق الحق والصواب:

إذا اعتصمنا بجبل الله إذ جحدوا بالمحكمات ولم تكفر كما كفروا  
جاروا عن القصد والإسلام واتبعوا ديناً يخالف ما جاءت به النذر

وكان الشعراء يسبغون على المحاربين صفات عظيمة وكان هدفهم من ذلك بما ينتظرهم من نعيم الخلد وبذلك يتضح تأثير الدين الإسلامي بالشعر وإيمانهم بمبدأ الثواب ونيل رضوان الله في الآخرة كما في قول الشاعر الضحاك بن قيس وهو يرثي بهلول الصقري:

يا عين أذري دموعاً منك تهتاناً وابكي لنا صحبة بانوا وإخواننا  
خلوا لنا ظاهر الدنيا وباطنها وأصبحوا في جنان الخلد رضوانا

وتسود الروح الدينية في المراثي ويعرض الشاعر مناقب الشهيد واتزانه بالتقى والزهد والإيمان ومما لاشك فيه أن هذا الرثاء يمنح الشاعر نفسه أملاً برحمة الله وعفوه وفوزاً كبيراً في آخرته كقول جرير في عمر بن عبد العزيز:

حملت أمراً عظيماً فاصطبرت له وقمت فيه بأمر الله يا عمرا

لقد تمثل في الرثاء سمات روحانية كالتسليم لله والرضا بقدرته وقضائه فالموت حق على العباد وما على المرء سوى التسليم بالصبر والإيمان بما أراه الله لعبيده وعلى مثل هذه الشاكلة يؤثر.

## الشعراء المخضرمون

### حسان بن ثابت

هو أبو الوليد حسان بن ثابت من قبيلة الخزرج، التي هاجرت من اليمن إلى الحجاز، وأقامت في المدينة مع الأوس. ولد في المدينة قبل مولد الرسول بنحو ثماني سنين، فعاش في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام ستين سنة أخرى، وشب في بيت وجاهة وشرف، منصرفاً إلى اللهو والغزل، فأبوه ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي، من سادة قومه وأشرفهم، وأمه الفريرة خزرجية مثل أبيه.

وحسان بن ثابت ليس خزرجياً فحسب؛ بل هو أيضاً من بني النجار أحوال رسول الله ﷺ فله به صلة وقرابة.

### حسان بن ثابت قبل الإسلام

كانت المدينة في الجاهلية ميداناً للنزاع بين الأوس والخزرج، تكثرت فيها الخصومات والحروب، وكان قيس بن الخطيم شاعر الأوس، وحسان بن ثابت شاعر الخزرج، الذي كان لسان قومه في تلك الحروب التي نشبت بينهم وبين الأوس في الجاهلية، فصارت له في البلاد العربية شهرة واسعة.

وقد اتصل حسان بن ثابت بالغساسنة، يمدحهم بشعره، ويتقاسم هو والنابغة الذبياني وعلقمة الفحل أعطيات بني غسان، وقد طابت له الحياة في ظل تلك النعمة الوارفة الظلال، ثم اتصل ببلاط الحيرة وعليها النعمان بن المنذر، فحلّ محلّ النابغة، حين كان هذا الأخير في خلاف مع النعمان، إلى أن عاد النابغة إلى ظل أبي قابوس النعمان، فتركه حسان مكرهاً، وقد أفاد من احتكاكه بالملوك معرفةً بشعر المديح وأساليبه، ومعرفةً بشعر الهجاء ومذاهبه، ولقد كان أدائه الفني في شعره يتميز بالتضخيم والتعظيم، واشتمل على ألفاظ جزلة قوية، وهكذا كان في تمام الأهبة للانتقال إلى ظل محمد ﷺ نبي الإسلام، والمناضلة دونه بسلاحه مدحه وهجائه.

### حسان بن ثابت في الإسلام

لما بلغ حسان بن ثابت الستين من عمره، وسمع بالإسلام، دخل فيه، وراح من فوره يرد هجمات القرشيين اللسائنة، ويدافع عن محمد والإسلام، ويهجو خصومهما. قال ﷺ: "وما للأنصار" ما يمنع القوم الذين نصرنا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بالسنتهم؟! فقال حسان بن ثابت: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه، وقال عليه السلام: "والله ما يسرنى به مقول بين بصرى وصنعاء".

ولم يكن حسان بن ثابت وحده هو الذي يرد غائلة المشركين من الشعراء؛ بل كان يقف إلى جانبه عدد كبير من الشعراء الذين صحّ إسلامهم، وكان النبي ﷺ يثني على شعر حسان، وكان يحثه على ذلك ويدعو له بمثل: "اللهم أيده بروح القدس"، وعطف عليه وقربه منه، وقسم له من الغنائم والعطايا، إلا أن حسان بن ثابت لم يكن يهجو قريشاً بالكفر وعبادة الأوثان؛ وإنما كان يهجوهم بالأيام التي هُزموا فيها، ويُعيرهم بالمثالب والأنساب، ولو هجاهم بالكفر والشرك ما بلغ منهم مبلغاً. وكان حسان بن ثابت لا يقوى قلبه على الحرب، فاكتفى بالشعر، ولم ينصر رسول الله ﷺ بسيفه، ولم يشهد معركة مع رسول الله ﷺ ولا غزوةً.

ومما لا شك فيه أن حسان بن ثابت كان يحظى بمنزلة رفيعة، يجله الخلفاء الراشدون ويفرضون له في العطاء في الوقت نفسه، فإننا لا نجد في خلافة أبي بكر - رضي الله عنه - موقفاً خاصاً من الشعر، ويبدو أن انشغاله بالفتوحات وحركة الردة لم تدع له وقتاً يفرغ فيه لتوجيه الشعراء أو الاستماع إليهم، في حين نجد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحب الشعر، خاصة ما لم يكن فيه تكرار للفظ والمعنى، وقد روي عن كل من الخلفيين الراشدين عدداً من الأبيات، لسنا في صدق إيرادها.

### حسان بن ثابت يؤيده الروح القدس

قال رسول الله " : **يُحُ قَرِيشًا**، فإنه أشد عليهم من رشق بالنبل"، فأرسل إلى ابن رواحة فقال: "اهجهم"، فهجاهم فلم يُرَضْ، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه، قال حسان: قد أن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبيه، ثم أدلع لسانه فجعل يحركه، فقال: والذي بعثك بالحق! لأفريئهم بلساني فرِّي الأديم.. فقال رسول الله " : **لا تعجل**، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسبًا، حتى يلخص لك نسبي"، فأتاه حسان، ثم رجع فقال: يا رسول الله، قد لخص لي نسبك، والذي بعثك بالحق!! لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين.. قالت عائشة: فسمعت رسول الله **يقول لحسان**: "إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله"، وقالت: سمعت رسول الله **يقول**: "هجاهم حسان، فشفي واشتفى". قال حسان:

هجوت محمدًا فأجبت عنه \*\*\* وعند الله في ذلك الجزاء  
هجوت محمدًا برًا تقيًا \*\*\* رسول الله شيمته الوفاء  
فإن أبي ووالده وعرضي \*\*\* لعرض محمد منكم وقاء  
ثكلت بنيتي إن لم تروها \*\*\* تثير النقع من كفي كداء  
يبارين الأعنة مصعدات \*\*\* على أكتافها الأسل الظماء  
تظل جياندا متمطرات \*\*\* تلطمهن بالخمر النساء  
فإن أعرضتمو عنا اعتمرنا \*\*\* وكان الفتح وانكشف الغطاء  
وإلا فاصبروا لضراب يوم \*\*\* يعز الله فيه من يشاء  
وقال الله: قد أرسلت عبدًا \*\*\* يقول الحق ليس به خفاء  
وقال الله: قد يسرت جنْدًا \*\*\* هم الأنصار عرضتها اللقاء  
لنا في كل يوم من معد \*\*\* سباب أو قتال أو هجاء

### الخنساء شاعرة الصبر والحكمة

هي تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية الملقب بالخنساء. كان أخوها صخر شريفًا في بني سليم، وخرج في غزاة فقاتل فيها قتالا شديداً، وأصابه جرح واسع، فمرض في ذلك وطال مرضه، حتى مات. وكذلك قتل أخوها معاوية، فبكتهما الخنساء بكاءً مرًا وكان أكثر بكائها على صخر ذي اليد الكريمة والقلب المحب العطوف.

وقد اسلمت الخنساء في أواخر حياتها وأخلصت لدينها الجديد. ومما يروي من هذا القبيل أنها دخلت أم المؤمنين عائشة (ر) وعليها صدار لها من شعر، فقالت لها عائشة: يا خنساء إن هذا لقبيح، قبض رسول الله (ص) فما لبست هذا، قالت إن له قصة قالت عائشة فأخبرني فقالت زوجني أبي رجلاً، وكان سيداً معطاءً، فذهب ماله، فقال لي من يا خنساء؟ قلت: إلى أخي صخر، فأتيناه، فقسم ماله شطرين، فأعطينا خيرهما، فجعل زوجي أيضاً يعطي ويحمل، حتى نفذ ماله، فقال إلى من؟ قلت: إلى أخي صخر، فأتيناه، فقسم ماله شطرين، فأعطينا خيرهما، فقال إمرأته: أما ترضى أن تعطيهما النصف حتى تعطيهما أفضل النصفين؟ فأنشأ يقول:

والله لا أمنحها شرارها      ولو هلكت مزقت خمارها  
وجعلت من شعر صدارها

وذلك الذي دعاني إلى أن لبست هذا حين هلك. وكانت تقف بالموسم فتسوم هودجها بسومة، وتعظم العرب بمصبيتها بأبيها عمرو ابن الشريد وأخوها صخر ومعاوية ابني عمرو، وتنشدهم فتبكي الناس. وكان أبوها يأخذ بيدي ابنه صخر ومعاوية ويقول: أنا ابو خيرى مضر، فتعترف له العرب بذلك.

وللخنساء ديوان شعر في رثاء أخويها صخر ومعاوية وأكثره في صخر. طبع في بيروت سنة 1889م. ورثاء الخنساء هو عاطفة صادقة في حزنها، أو هو لوعة الخت على أخيها، أو هو نغمة الألم تتصاعد مكرورة في بداية بلا نهاية، وتماشى نبرات العاطفة في اختلاف تموجاتها، في اندفاعها وثورتها، وفي ركودها وانكسارها، في تبويق عزتها وفي إرعاد تهديدها، في حبها المضطرم وفي أنفاسها الملتدم.

وتبدو الخنساء كإحدى النساء النوادب اللواتي يقمن حول النعش في تموج جسمي وروحي، ويصعدن مع كل حركة زفرة، ومع كل زفرة نغمة من نغمات الرثاء والنواح في تكرار وترديد. وهي كثيرا ما تفتتح القصيدة بمناجات عينيها، وكثيرا ما تستنزه العينين وتستقطرهما دموعا، وكثيرا ما تعمد الخنساء إلى صيغ المبالغة للتشديد والتقرير، وإلى تقطيع البيت الواحد تقطيعات موسيقية هدارة، تخرج بنا عن جو الأنوثة وتلتحق بنبرات البطولة فتقول مثلا:

وإن صحرا لوالينا وسيدنا      وإن صحرا، إذا نشتوا، لنحار  
وإن صحرا لمقدام، إذا ركبوا      وإن صحرا، إذا جاعوا، لعقار

هكذا كان ديوان الخنساء صورة مكبرة لصخر، وكان صخر في ديوان الخنساء الصفات العربية كلها مكبرة، فهو حصن العشيرة وخطيبها، وهو موئل الضعيف والضعيف، وهو عنوان الكرم والجود، وهو كل ما هو كامل ومحبوب. فكان صخر دموع حياة وقطرات فؤاد، وكانت الخنساء عنوان العطف ورمز الإخاء والوداد.

هاجرت الخنساء إلى المدينة المنورة وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم وأعلنت إسلامها، وقدم عليها الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- في موسم من مواسم الحج وقد نهاها عن كثرة رثائها فقال لها اتعب عينيك هكذا؟ قالت بكائي على رجالات مضر في الجاهلية. فقال إنهم في النار، فقالت: أبكيهم أكثر بعد الإسلام لما ماتوا عليه من الضلال، قال: صدقت يا بنت عمرو. وخرجت الخنساء في كثير من الغزوات وحرضت الخنساء أبناءها الأربعة على الجهاد وقد رافقتهم مع الجيش زمن عمر بن الخطاب، وهي تقول لهم: "يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، ووالله الذي لا إله إلا هو إنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله عز وجل: "يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وربطوا وارتقوا الله لعلكم تفلحون" فإذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين فأعدوا على قتال عدوكم مستبصرين، وباللهم على أعدائه مستبصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شممت عن ساقها، واضطربت لظى على سيقها، وجلت نارا على أوراقها، فتميموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام حميسها تظفروا بالغنم والكرامة في الخلد والمقامة" فاستشهدوا جميعا في موقعة القادسية وعندما بلغ الخنساء خبر وفاة أبنائها لم تجزع ولم تبك، ولكنها صبرت، فقالت قولتها المشهورة: الحمد لله الذي شرقتني باستشهادهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

وقالت في معاوية أخيها وكان كثير المال ويعطيها فيضيعة زوجها رواحة بن عبد العزيز السلمي فلم يزل يعطيها حتى قتله بنو مرة.

فقالته فيه :

ألا لا أرى في الناس مثلاً معاوية  
إذا طرقت إحدى الليالي بداهيه  
ألا لا أرى كالفارس الورد فارساً  
إذا ما علته جراًه وعلايه  
وكان لزاز الحرب عند شوبها  
إذا شممت عن ساقها وهي ذاكه  
بلينا وما تبلى تعار وما ترى  
على حدث الأيام إلنا كما هيه  
فأقسمت لا ينفك دمعي وعولتي  
عليك بخزن ما دعا الله داعيه

وقيل للخنساء : صفي لنا أخويك صخراً ومعاوية ! فقالت : كان صخر والله جنت الزمان الأغبر وذعاف  
الخميس الأحمر ، وكان معاوية القائل الفاعل ، قيل لها: فأيهما أسمى وأفخر ؟ قالت : أما صخر فحر الشتاء ،  
وأما معاوية فبرد الهواء وقيل لها فأيهما أوجع وأفجع ؟ قالت : أما صخر فجمر الكبد وأما معاوية فسقام الجسد  
وأنشأت تقول:

أسدان محمراً المخالب نجدة  
بحران في الزمن الغضوب الأنمر  
قمران في النادي رفيها محتد  
في المجد قراً سودد مؤخير

**كعب بن زهير وبانت سعاد**

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني،نشأ في بيت يكتنفه الشعر من كل جانب،فما ترعرع حتى  
نظمه. انه الشاعر ابن الشاعر وشقيق الشاعر وابو الشاعر وجد الشاعر حتى لكأن الشعر يسري في  
كعب بن زهير ابن ابى سلمى شقيق بجير ووالد عقبة وجد العوام .. وكلهم شعراء حتى لكأن الشعر يسري في  
الدماء العائلية ويسكن في الموروثات الجينية لتلك العائلة التي قدر لها ان تحتفى بالشعر تالدا ووالدا. وقد روى  
على هذا الصعيد ان زهير بن ابى سلمى كان يمنع كعبا من قول الشعر وهو صغير حتى لا ياتي بشعر لا  
يرقى للمستوى الذي يراه الناس في هذه العائلة الشاعرة ، والتي بدأ مجدها الشعرى منذ ما قبل الاسلام بتلك  
المعلقة التي كتبت بماء الذهب وعلقت على استار الكعبة بتوقيع زهير بن ابى سلمى ، وترسخ بتلك القصيده  
التي أورث قائلها كعب بن ابى زهيره نجاه في الدنيا والأخرة وبردة نبوية توارثتها العائلة ، قبل ان تنتقل  
لبیوت الحكم الاسلاميه جيلا بعد جيل ، حتى وصلت الى بيت الحكم العثماني معزز به تلك الحالة القدسية  
المشرفة .

والحكاية يمكن التقاطها من لقطة ضيقة لمشهد واسع يجلس فيه كعب بن زهير وحيدا وقد اسودت  
الدنيا في وجهه وبلغ اسفه مبلغا لم يقدر على احتماله بعد ان بلغه غضب رسول الله صلى الله وسلم عليه  
واهداره لدمه عقابا له على تشبيهه بنساء المسلمين وهجائه للنبي ولشقيقه بجير الذي اسلم قبله. ولأن كعبا  
يعرف حجم ما ارتكبه من اثم وما اقترفه من ذنب في سياق القصيد ، الذي لم يكن ليقوله الا تحديا للدين  
المنتصر ، وانتصارا لاساطير اجداده الاولين ، ولأنه رأى وسمع ما حل بما غضب عليهم النبي من شعراء قبله



فقد تهاوت جدران المشهد الواسع على ذاته في لحظه شعر بها وكأنها تساوى الزمن كله ، فصار يترمي على ما يعرف وما لا يعرف من القبائل التي استطاع ان يصلها لعلها تحيره بل ان يدركه النبي او احد اتباعه المسلمين فينفذ الوعيد النبوي الذي لا يكذب . لكن الجميع تحاشاه حتى ايقن انه هالك لا محاله . وفيما يشبه الامل الاخير ، جاءت رساله شقيقه بجير تقترح عليه ان يتوب عن ذنبه ويثوب الى رشده ويسلم قلبه لله ويقدم على النبي طائعا مستغفرا . فنفذ كعب الاقتراح بحذافيره ، حيث اتجه الى المدينة ونزل على صديق قديم وانطلق به الى المسجد ثم اشار الى رسول الله قائلا : ( هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه ) فتلثم كعب بعمامته ومضى نحو الرسول حتى جلس بين يديه ثم قال: يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابل منه ان جئتك به.

قال الرسول : ( نعم )

وعندئذ كشف كعب عن وجهه قائلا : ( انا كعب بن زهير ) وما ان قال ذلك حتى وثب عليه رجل من الانصار قائلا : ( يارسول الله دعني وعدو الله اضرب عنقه ) فقال الرسول : ( دعه عنك فانه قد جاء تائباً نازعاً ) وقفها عندها الشاعر التائب وقد أشرقت حياته من جديد بأمل الأمان .فالتقط اطراف ذاته المشتتة ما بين الحياة والموت واستجمعها في لحظه فريده من لحظات حياته الممتلئه شعرا وكانت سعاد تتراءى له كقصيده جميله فلم يجد حرجا من الصدع بالغزل في حضره النبي الكريم ، وامام الجمع المستفز من اصحابه فكانت تلك القصيده بلسما للجروح التي سبق للشاعر ان أحدثها في جسد المجتمع المسلم عبر قصائده المؤذيه للنبي واصحابه.

بدأ كعب قصيدته متغزلا بمحبوبته سعاد على نهج القصيده الجاهليه ، قبل ان ينتقل من ابيات الغزل في تخلص بديع الى وصف الناقه التي نقلته الى محبوبته البائنه ، ومنها يصل الى ابيات القصيده كلها حيث الثناء الى الرسول الكريم واصحابه فيما يشبه الانقلاب على كل ما كتب . وكالمنتصر بفيوض الشعر ونزاهه الموهبه جلس كعب بين اصحاب النبي مطمئنا هذه المره الى ما أحدثته القصيده في نفوس الجميع المتحفز ، وبلغت لحظه انتصاره اوجها التاريخي حين قام النبي فألقى برده التي كان يلبسها على كتفي الشاعر المنتشى تقديرا واعجابا فتضاعفت النشوه ، وتمددت في اعطاف الشاعر ونسله على مدى التاريخ كله

ولكعب بن زهير الذي ظل تاريخ ميلاده مجهولا ، وترجع كثير من كتب الادب انه توفي نحو سنة 266م | 42 هـ ديوان يحتوي على كثير من المقطوعات القصيره التي نظمت في الاغراض المعروفه في عصره من مدح وهجاء وغزل وفخر ورتاء لكن قصيدته "بانث سعاد" تظل هي الأجود والأشهر وهي تسمى بالبرده نسبة للجائزه النبويه التي استحقها عليها ، وقد تناول تلك القصيده الكثيرون بالشرح والتفسير والتشطير والتخميس والمعارضه والترجمة

## النثر في العصر الإسلامي

النثر الأدبي في عصر صدر الإسلام يتمثل في الخطابة والرسائل بالإضافة إلى القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وإذا كان القصد من النثر الأدبي هو التأثير وإثارة العواطف، فإن الخطبة والرسالة لهما الأثر الكبير في إثارة العواطف ومن ثمَّ التأثير في الناس، والخطبة تؤثر في الناس أكثر من تأثير الرسالة فأول فنونه وأكثرها ازدهارًا هو فن الخطابة، الذي نهضت به عوامل مختلفة، أبرزها العوامل السياسية ممثلة في الفرق والثورات المختلفة. وهناك عامل آخر هو نمو تيار الوعظ الديني.

ولم يكن للنثر في الجاهلية ما كان للشعر من شأن ومكانة، ولما ظهر الإسلام واتسع نطاق الحكم العربي تعقدت مصالح الدولة، وأصبح النثر وسيلة التعبير في العلاقات القائمة بين الحكام والمحكومين، والرؤساء والمرؤوسين، ولذلك تلون بجميع ألوان الحياة الجديدة فكان خطابة، وكان كتابية، وكان رسائل وعهودا كما كان أخيرا قصصا ومناظرات وتوقيعات. والجدير بالذكر أن هذا الأدب النثري كان في مرحلته الإسلامية الأولى، ربيب الخلفاء والأمراء والولاة يستعملونه لإحكام ما بينهم وبين الناس من صلات، وكان في أسلوبه التعبيري امتداد للنثر الجاهلي واحتذاء للقرآن، ينبت عن أصالة عربية في نزعة إيجازية وتوجيه اجتماعية.

## القرآن الكريم

لقد كان ابتداء الوحي في سنة /611/ للميلاد بمكة ، ثم هاجر منها النبي صلى الله عليه وسلم في سنة /622/ إلى المدينة المنورة فنزل القرآن مكيًا ومدنيًا ، كانت عزيمة النبي صلى الله عليه وسلم والأصحاب متوجهة أول الأمر نحو جمع القرآن في القلوب بحفظه واستظهاره لأنه نبي أمي بعثه الله في الأميين ، كما أن أدوات الكتابة لم تكن ميسرة لديهم فكان التعويل على الحفظ في الصدور يفوق التعويل على الحفظ في السطور . وعلى أي حال لم تصرفهم العناية بحفظ القرآن واستظهاره عن العناية بكتابته ونقشه بمقدار ما سمحت به وسائل الكتابة . فكان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن ابتداء من أنفسهم ، أو بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم فيخطونه على ما اتفق لهم يومئذ من العسب والكرانيف والرحاف والرقاع وقطع الأديم وعظام الأكتاف والأضلاع من الشاة والإبل ، وكل ما أصابوا من مثلها مما يصلح لغرضهم ، وقد اشتهر أن عدد كتاب الوحي خمس وعشرون كاتبًا ، لكنه فيما يبدو أكثر من ذلك بكثير. فقد بلغ عدد الكتاب فوق الأربعين ، حسبما أفاده الإحصاء المستقصى لبعض المحققين. فيكتب كل منهم ما تيسر له أو يسرته أحواله ، وقد حصر النبي صلى الله عليه وسلم جهد هؤلاء الكتاب في كتابة القرآن فمنع من كتابته غيره إلا في ظروف خاصة أو لبعض أناس مخصوصين كما في الحديث الصحيح: ( لا تكتبوا عني شيئاً إلا القرآن، فمن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحاه )

ولكن مما ليس فيه ريب أن منهم قوماً جمعوا القرآن كله لذلك العهد ، منهم : علي بن أبي طالب ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهم من الصحابة الكرام ، ثم إن ثلاثة منهم عرضوا ما كتبوه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرؤوه ، فابن مسعود قرأ بمكة وعرض هناك ، وأبي قرأ بعد الهجرة وعرض في ذلك الوقت ، وزيد قرأ بعدهما وكان عرضه متأخراً عن الجميع ، وهو آخر العرض إذ كان في سنة وفاته صلى الله عليه وسلم ، وبقراءته كان يقرأ عليه الصلاة والسلام وكان يصلي إلى أن لحق بربه ولذلك اختار المسلمون ما كان آخرًا ، وكان هناك عدد كبير من الصحابة رضوان الله عليهم ممن حفظوا القرآن الكريم كاملاً وعن ظهر قلب ما بين مهاجرين وأنصار .

ولكن مع هذا كله لا بد لنا وأن نعرف أمراً ربما يغيب على كثير من الناس وهو : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أعظم العالم حفظاً للقرآن ، وكان يتلوه عن ظهر قلب لايفتر ولاسيما في الليل ، حتى إنه ليقراً في الركعة الواحدة العدد من السور الطوال ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض القرآن الكريم على أمين الأرض والسماء سيدنا جبريل عليه السلام في كل عام مرة في شهر رمضان . يقول أبو هريرة رضي الله عنه فيما يرويه الإمام البخاري رضي الله عنه : ( كان يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض ، وكان يعتكف كل عام عشرًا ، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض )

### جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان (ر)

عندما اتسعت الفتوحات الإسلامية انتشر الصحابة رضي الله عنهم في البلاد المفتوحة يعلمون أهلها القرآن وأمور الدين وكان كل صحابي يُعلم بالحرف الذي تلقاه من الأحرف السبعة فكان أهل الشام يقرأون بقراءة أبي بن كعب رضي الله عنه ، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق ، وإذا أهل العراق يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام فيكفر بعضهم بعضاً .

وعندما اتجه جيش المسلمين لفتح (أرمينية) و(أذربيجان) وكان الجنود من أهل العراق وأهل الشام فكان الشقاق والنزاع يقع بينهم ورأى حذيفة بن إليمان رضي الله عنه اختلافهم في القراءة وبعض ذلك مشوب باللحن مع إلف كل منهم لقراءته واعتياده عليها واعتقاده أنها الصواب وما عداها تحريف وضلال حتى كفر بعضهم بعضاً فأفزع هذا حذيفة بن إليمان رضي الله عنه فقال والله لأركبن إلى أمير المؤمنين (يعني عثمان بن عفان رضي الله عنه) وكان عثمان قد رأى نحو هذا في المدينة فقد كان المعلم يُعلم بقراءة والمعلم الآخر يعلم بقراءة فجعل الصبيان يلتقون فينكر بعضهم قراءة الآخر فيبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فقام خطيباً وقال: (أنتم عندي تختلفون فيه فتلحنون فمن نأى عني من الأمصار أشد فيه اختلافاً وأشد لحناً، اجتمعوا يا أصحاب محمد، واكتبوا للناس إماماً).

فلما جاء حذيفة إلى عثمان رضي الله عنهما وأخبره بما تحقق عند عثمان ما توقعه، وقد روى البخاري في صحيحه قصة ذلك الجمع في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (إن حذيفة بن إليمان قدم على عثمان وكان يُغازي أهل الشام في فتح (أرمينية) و(أذربيجان) مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان).

اللجنة المختارة: اختار عثمان رضي الله عنه أربعة لنسخ المصاحف هم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام، وهؤلاء الثلاثة من قريش. فقد سأل عثمان رضي الله عنه الصحابة: من أكتب الناس؟ قالوا: كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت قال: فأبي الناس أعرب؟ وفي رواية أفصح. قالوا: سعيد بن العاص، قال عثمان: فليُمل سعيد، وليكتب زيد.

وبعد الفراغ من نسخ المصاحف بعث عثمان بنسخ منها إلى الأمصار الإسلامية حيث نشط المسلمون في نسخ مصاحف منها للأفراد وكان زيد بن ثابت في المدينة يتفرغ في رمضان من كل سنة لعرض المصاحف فيعرضون مصاحفهم عليه وبين يديه مصحف أهل المدينة.

#### التفسير المشهورة

- 1) تفسير الجلالين لجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي
- 2) تفسير ابن كثير
- 3) التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي
- 4) في ظلال القرآن لسيد قطب
- 5) تفسير المنار لسيد رشيد رضا
- 6) نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان لحميد الدين الفراهي
- 7) تفسير الكشاف للزمخشري

#### الأحاديث النبوية

الحديث الشريف أو السنة النبوية هو ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول وفعل أو تقرير. والحديث النبوي يجعل في الرتبة الثانية بعد القرآن الكريم وذلك أنه يبين كثيراً من الآيات القرآنية أو يقيدها أو يخصصها.

قال أحمد أمين في كتابه "فجر الإسلام" "كان للحديث أكبر الأثر في نشر الثقافة في العالم الإسلامي فقد أقبل الناس عليه يتدارسونه إقبالا عظيما وكانت حركة الأمصار العلمية تكاد تدور عليه وكل علماء الصحابة والتابعين كانت شهرتهم العلمية مؤسسة على التفسير والحديث - والحديث كان أوسع دائرة - وسبب حرص الناس على رواية الحديث رحلة العلماء إلى أقاصي المملكة وطوافهم في البلجان يأخذ بعضهم عن بعض فكان من ذلك تبادل الآراء العلمية ووقوف علماء كل مصر على ما عند الآخرين حتى لتكاد الحركة العلمية توحد.

وعن طريق الحديث النبوي انتشرت في العالم الإسلامي أنواع من الثقافة عدة فالتاريخ الإسلامي بدأ بشكل حديث كالذي ترى في كتب الحديث من مغاز وفضائل أشخاص وفضائل أمم ثم تطور التاريخ إلى أن صار كتابا قائما بنفسها ودليلنا على ذلك أن كتب التاريخ الأولى كسيرة ابن هشام وما يروى ابن جرير عن ابن إسحاق والبلادري في فتوح البلدان يكاد يكون نمطها وأسلوبها نمط الحديث واسلوب الحديث وقصص الأنبياء وما إلى ذلك جاءت في القرآن وتوسع فيها الحديث ثم توسع القصص فكان القصص والحكم وقواعد الأخلاق وشيء من فلسفة إلى الهند والفرس وضعت في الحديث وضعا وانتشرت بين الناس على أنها دين فكان لها من الأثر في الناس ما ليس للتعاليم الدنيوية وفوق ذلك كان الحديث أوسع منبع للتشريع في العبادات والمسائل المدنية والجناحية وغير ذلك. وعلى الجملة فقد كان الحديث أوسع مادة للعلم والثقافة.

### جمع الأحاديث النبوية وتدوينه

كاد القرن الأول الهجري أن ينتهي ، ولم يصدر أحد من الخلفاء أمره بجمع الحديث وتدوينه ، بل تركوه موكولا إلى حفظ العلماء والرواة وضبطهم ، وبعض الكتابات الفردية ، وكان مرور مثل هذا الزمن الطويل كفيلا بتركيز القرآن وتثبيتته في نفوس الناس ، فقد أصبح يتلوه القاضي والداني ، ويعرفه الخاص والعام ، ولا يختلف فيه أحد أو يشك في شيء من آياته ، كما كان مرور هذا الزمن الطويل أيضاً كفيلا بأن يذهب بكثير من حملة الحديث من الصحابة والتابعين في الحروب والفتوحات ، وأن يتفرقوا في الأمصار ، مما هيا لأهل الأهواء والبعد - الذين ظهروا في هذه الفترة - أن يزيدوا في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأن يُدخلوا فيه ما ليس منه مما يؤيد بدعتهم ويلبي انحرافهم ، كما أن انتشار الإسلام وتوسع الدولة الإسلامية جعل العرب يختلطون بغيرهم من الأعاجم في البلدان المختلفة مما نتج عنه قلة الضبط في نقل حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسبب ضعف ملكة الحفظ عند الناس .

وفي العام التاسع والتسعين للهجرة تولى الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه خلافة المسلمين ، فنظر إلى الأحوال والظروف التي تمر بها الأمة ، فرأى أن عليه البدء بكتابة الحديث وتدوينه حفظاً له من الضياع والتحرif ، حيث أن المانع الذي كان يمنع تدوين الحديث قد زال ، ومصلحة المسلمين باتت تستدعي جمع الحديث وتدوينه .

فكتب إلى عمّاله وولاته يأمرهم بذلك ، حيث أرسل إلى أبي بكر ابن حزم - عامله وقاضيه على المدينة - قائلاً له : " انظر ما كان من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاكتبه ، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء " ، وطلب منه أن يكتب ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، وكتب إلى علماء المسلمين في الأمصار المختلفة " انظروا إلى حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاجمعوه " ، وكان ممن كتب إليهم الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أحد الأئمة الأعلام ، وعالم أهل الحجاز والشام المتوفى سنة 124هـ ، حيث استجاب لطلب عمر بن عبد العزيز فجمع حديث أهل المدينة وقدمه له ، فبعث عمر إلى كل أرض دفتراً من دقاتره ، وكانت هذه هي المحاولة الأولى لجمع الحديث وتدوينه بشمول واستقصاء ، وكان تدوين الإمام الزهري للسنة عبارة عن جمع ما سمعه من أحاديث الصحابة من غير تبويب على أبواب العلم ، وربما كان مختلطاً بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، وهذا ما تقتضيه طبيعة الشروع في كل أمر جديد ، وبذلك مهد الإمام الزهري الطريق لمن أعقبه من العلماء والمصنفين ، ووضع حجر الأساس في تدوين السنة في كتب خاصة .

ثم نشطت حركة التدوين بعد ذلك ، وأخذت في التطور والازدهار ، وتعاون الأئمة والعلماء في مختلف الأمصار ، فكتب ابن جريج بمكة ، وكتب مالك وابن اسحاق بالمدينة ، وكتب سعيد بن أبي عروبة والربيع بن صبيح وحماد بن سلمة بالبصرة ، وكتب سفيان الثوري بالكوفة ، وكتب أبو عمرو الأوزاعي بالشام ، ، وكتب عبد الله بن المبارك بخراسان ، وكتب معمر باليمن ، وغيرهم من الأئمة ، وكانت طريقتهم في التدوين هي جمع أحاديث كل باب من أبواب العلم على حدة ، ثم ضم هذه الأبواب بعضها إلى بعض في مصنف واحد ، مع ذكر أقوال الصحابة والتابعين ، ولذلك حملت المصنفات الأولى في هذا الزمن عناوين مثل " مصنف " و " موطأ " و " جامع " .

ثم جاء القرن الثالث فحدث طور آخر من أطوار تدوين السنة تجلّى في إفراد حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالتصنيف دون غيره من أقوال الصحابة والتابعين ، فألفت المسانيد التي جمعت أحاديث كل صحابي على حدة ، من غير مراعاة لوحدة الموضوع ، كمسند الإمام أحمد ، ومسند إسحاق بن راهويته ، ومسند عثمان بن أبي شيبة وغيرها من المسانيد ، ولم تقتصر هذه المسانيد على جمع الحديث الصحيح بل احتوت على الصحيح وغيره مما جعل الإفادة منها والوقوف على أحاديث مسألة معينة من الصعوبة بمكان إلا على أئمة هذا الشأن ، خصوصاً وأنها لم ترتب على أبواب الفقه ، مما حدا بإمام المحدثين في عصره محمد بن إسماعيل البخاري أن ينحو بالتأليف منحىً جديداً اقتصر فيه على الحديث الصحيح فحسب دون ما عداه ، فألف كتابه الجامع الصحيح المشهور بـ " صحيح البخاري " ، وجرى على منواله معاصره وتلميذه الإمام مسلم بن الحجاج القشيري فألف صحيحه المشهور بـ " صحيح مسلم " ، وقد رتبا صحيحهما على أبواب الفقه تسهيلاً على العلماء والفقهاء عند الرجوع إليهما لمعرفة حكم معين ، فكان لهدين الإمامين الفضل بعد الله عز وجل في تمهيد الطريق أمام طالب الحديث ليصل إلى الحديث الصحيح بأيسر الطرق .

وقد تابعتها في التأليف على أبواب الفقه أئمة كثيرون سواء ممن عاصروهم أو ممن تأخر عنهم ، فألفت بعدهما السنن الأربعة المشهورة وهي سنن أبي داود ، والنسائي ، والترمذي ، وابن ماجه ، إلا أن هؤلاء الأئمة لم يلتزموا الصحة كما التزمها الإمامان البخاري ومسلم ، فوجد في هذه المؤلفات الصحيح وغيره ، وإن كان الصحيح هو الغالب .

وقد اعتبر العلماء القرن الثالث الهجري أزهى عصور السنة وأسعدها بالجمع والتدوين ، ففيه دونت الكتب الستة التي اعتمدها الأمة فيما بعد ، وفيه ظهر أئمة الحديث وجهابذته ، وفيه نشطت رحلة العلماء في طلب الحديث ، ولذلك جعل كثير من أهل العلم هذا القرن الحدّ الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين من نقاد الحديث . وبانتهاء هذا القرن كاد أن ينتهي عصر الجمع والابتكار في التأليف ، فقد اقتصر دور العلماء في القرون التالية على الاختصار والتهديب والترتيب ، والاستدراك والتعقيب ، وانصب اهتمامهم على الكتب المدونة ، وقلّت بينهم الرواية الشفهية .

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن تدوين الحديث النبوي قد مر بمراحل منتظمة ، وأطوار متلاحقة ، حققت حفظه ، وصانته من العبث والضياع ، وكان لجمع الحديث وتدوينه أعظم الأثر في تسهيل الطريق للاجتهد والاستنباط ، وبهذا نعلم مقدار الجهد العظيم الذي بذله الأئمة في جمع السنة وتبويبها ، حيث تركوا لنا تراثاً عظيماً في عشرات المصنفات والدواوين ، حتى أصبحت هذه الأمة تمتلك أغنى تراث عرفته البشرية ، فجزى الله أئمة الإسلام عناً خير الجزاء .

### الصاح الستة

بدأ علم الحديث يتحرك نحو التقدم بعد أن قضى تلك الفترة الطويلة التي عاشها في الجمود والسكون ، ولعل كان ذلك رد فعل ناشئ عن الانفعال الذي برز أثر منع الحديث ، ففي خلال قرن واحد - أي من سنة 150 - 250 هـ - ظهرت على الساحة كتب كثيرة تحمل اسم الصحاح والمسانيد والمستخرجات وغيرها .

وكان هدف مؤلفي هذه الكتب في هذه الفترة الزمنية منصبا على جمع الحديث فقط ، ولم تبوب وتقسّم الأحاديث بعد إلى الصحيح والحسن والضعيف ، وكان الحديث من دون فرق بين الصحيح وغيره يشكل المحتوى الأصلي للكتب والمسانيد حتى جاء عصر البخاري - 256 هـ - وسائر الصحاح .

قال ابن حجر : فلما رأى البخاري هذه التصانيف ورواها وانتشق رباها واستجلى محياها وجدها بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين والكثير منها يشمله التضعيف ، فلا يقال لعته سمين فحرك همته لجمع الحديث الصحيح الذي لا يرتاب فيه أمين.

ثم جاء بعده تلميذه مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري عام 261 هـ فألف الجامع الصحيح ، ومن بعده محمد بن يزيد بن ماجة القزويني - 273 هـ - فصنف سننه ، ثم كتب أبو داود سليمان بن داود السجستاني سننه - 275 هـ - وبعده محمد بن عيسى بن سورة الترمذي - 279 هـ - دون جامعه المعروف سنن الترمذي ، وبعده أحمد بن شعيب النسائي - 303 هـ - دون سننه ويقال له المجتبى .

وهذه الكتب الستة تشكل الركن الأصلي لجوامع أهل السنة ، فهم يرجعون إليها ويعتمدون عليها في العقائد والفروع والتفسير والتاريخ ، واشتهرت فيما بعد بالصحاح الستة ، ويطلق تارة على صحيح البخاري وصحيح مسلم الصحيحين ، وعلى الكتب الأربعة الأخرى بالسنن.

وبعد هذه الكتب صنفت المئات من الجوامع ، وسميت بالمسند والمستدرک والمستخرج ، إلا أنه لم ينل أي واحد منها مرتبة وشأنا عند أهل السنة كما كان شأن الصحاح الستة.

#### فن الخطابة:

ازدهرت الخطابة في العصر الاسلامي ازدهارا شديدا لتوافر عواملها وشدة الحاجة إليها، فالعهد عهد صراع فكري ثم صراع سياسي، والوفود إلى النبي (ص) تتبع الوفود، وميادين القتال تتسع للفتوح اتساعا كبيرا، وما هنالك غير الخطابة للوصول إلى العقول، وما هنالك غير اللسان في الجماهير يقرع الحجة بالحجة، ويصدع الأسماع بالأراء والبراهين.

والرسول صلى الله عليه وسلم معدود من فصحاء العرب وبلغائهم قبل البعثة، وعندما بعث أخذ يدعو الناس إلى عبادة الله وترك الشرك، وكانت الخطابة هي الوسيلة التي توصل تعاليم الإسلام إلى قريش خاصة ثم إلى العرب عامة. وقد كانت خطابة الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة قبل أن يهاجر إلى المدينة من أقوى الخطب التي يسمعها العرب، ولولا تأثير تلك الخطب في قريش ثم في العرب القادمين للحج لما حصلت الخصومة بين النبي صلى الله عليه وسلم وأهل مكة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبدأ خطبته بقول: "الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

ومن خطبه صلى الله عليه وسلم في مكة خطبته في قريش عندما نزل عليه قوله تعالى: **{وأذّن عشيرتك الأقربين}** فقد جمع قريشاً وخطب فيهم، ومن تلك الخطبة: "إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إلىكم حقاً وإلى الناس كافة"

وعندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أصبحت خطبه توضح التشريع الإسلامي. وقد شرع الإسلام خطبة الجمعة والعيدين وخطبة الحج، أما الخطب التي تقال في المناسبات فهي قوية ومؤثرة، ومن تلك الخطب خطبة أبي بكر يوم السقيفة، وخطبة عمر يوم تولى الخلافة، ولعلي ابن أبي طالب خطب جيدة في مناسبات كثيرة.

والخطابة الإسلامية تختلف عن خطب الجاهلية؛ فخطب الجاهلية تعتمد على السجع في أسلوبها، أما الخطبة في الإسلام فتتميز بسهولة الأسلوب، ووضوح المعنى، وهي تستقي معانيها من القرآن والحديث. فكانوا يفتتحون الخطبة بالبسملة والحمدلة، ويعنون شديد العناية بتضمينها بعض الآيات القرآنية.

ومن عادة الخطيب أن يخطب واقفاً، ويكون ذلك فوق منبر أو مرتفع من الأرض، ويعتمد على عصا. ولا يتصدى للخطبة إلا رجل عرف ببلاغته وقوة تأثيره، ولذلك نجد الخطب الإسلامية تؤثر في الناس أكثر من تأثير الشعر، بعكس ما كان سائداً في العصر الجاهلي فإن الشاعر يؤثر أكثر من الخطيب.

### نموذج الخطبة: خطبة النبي صلى الله عليه وسلم بالخيف في منى:

روى زيد بن ثابت: أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب بالخيف من منى فقال: "تَضَرَّ اللهُ عبداً سَمَعَ مقالتي فوعاها، ثم أداها إلى من لم يسمعها، فَرُبَّ حَامِلٍ فِىهِ لَافِقُهُ لَه، وَرَبَّ حَامِلٍ فَفَهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ. ثَلَاثٌ لَا يُعْلَى عَلَيْهِنَّ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِأَوْلِي الْأَمْرِ، وَلِزُومُ الْجَمَاعَةِ إِنْ دَعَوْتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وِرَائِهِ. وَمَنْ كَانَ هَمُّهُ الْآخِرَةُ: جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ وَجَعَلَ غَنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ. وَمَنْ كَانَ هَمُّهُ الدُّنْيَا: فَفَرَّقَ اللَّهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كَتَبَ لَهُ.

### علي بن أبي طالب

هو الامام علي بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ولد سنة 600م وكفله النبي (ص) وقام على تنشئته وتربيته، وكان حاد الذكاء، نافذ البصيرة فأحبه النبي حبا جما وجعله رفيقه في حله وترحاله، وأخى بينه وبين نفسه وزوجه ابنته فاطمة التي ولدت له الحسن والحسين. وقد رافق علي النبي في جهاده، وشهد معه جميع المشاهد، وصحبه في جميع الغزوات إلا غزوة تبوك.

وقد عرض الامام للقضايا الدينية في شتى خطبه ومواعظه، فكان له في كل موقف جولات إيمانية رائعة. خص الدين وما يتعلق به بعدد من تلك الخطب والمواعظ طواها على تأملات عميقة، ونظرات ماورائية واسعة الآفاق. وقد قال النبي عنه "علي بمنزلة رأسي من جسدي" وقد جمعت خطباته في صورة كتاب باسم "نهج البلاغة".



## المناقشة

أجب في جملة أو جملتين:

- (1) أذكر إثنين من الشعراء المخضرمين؟
- (2) من هو صاحب "بانة سعاد"؟
- (3) من هو الشاعر المعروف "بشاعر الرسول"؟
- (4) متى ولدت الخنساء؟
- (5) أذكر ثلاثة من التفاسير المشهورة؟
- (6) من قال هذا "أصدق كلمة قالتها العرب كلمة لبيد" "ألا كل شيء...."؟
- (7) ما هو المراد بالحديث النبوي؟
- (8) من الشاعرة المشهورة في فن الرثاء في العصر الإسلامي؟
- (9) لماذا لقبنا الخنساء باسمها؟
- (10) من الخطيب الذي قام النبي (ص) على تربيته في الطفولة؟
- (11) من الشاعرة التي أسلمت في أواخر حياتها؟

أكتب مذكرة وجيزة حول الآتية:

- (1) الصحاح الستة
- (2) جمع القرآن
- (3) فن الخطبة في العصر الإسلامي
- (4) حسان بن ثابت
- (5) الخنساء
- (6) كعب بن زهير
- (7) علي بن أبي طالب

أكتب مقالة حول الآتية:

- (1) أثر الإسلام على الأدب العربي
- (2) نزول القرآن وجمعه وتدوينه
- (3) النثر العربي في العصر الإسلامي

## الوحدة الثالثة

### الشعر في العصر الأموي

ارتبط الشعر العربي بالعصر الأموي ارتباطاً خصوصية، بمعنى أن ثمة فنوناً شعرية جديدة ظهرت في العصر الأموي واختفت بزواله، فالنقائض بشكلها المعروف وتقاليدها الجديدة هي ثمرة من ثمار الشعر الأموي، وكان أبرز شعرائها الفحول الثلاثة، جرير والأخطل والفرزدق. كما أن الشعر السياسي بصبغته المعروفة هو ابن شرعي لهذا العصر، فقد كان لكل فرقة شعراؤها، مثل الكميت شاعر الهاشميين، وابن قيس الرقيّات شاعر الزبيريين وغيرهما.

أمّا الغزل فبالرغم من أنه من أغراض الشعر القديمة المعروفة، إلا أنه لقي في هذا العصر اهتماماً كبيراً، وأصبح تياراً قوياً له شعراؤه وجمهوره ومدارسه، وكان أشهر تياراته تيار الغزل العذري العفيف وزعيمه جميل بن معمر، والغزل الصريح اللاهني وزعيمه عمر بن أبي ربيعة. وعلى كلِّ فإنّ بني أمية كانوا يتمتعون بحسٍّ أدبي عربي جعلهم يشجعون الشعراء ويعقدون لهم المجالس، ويُجزلون لهم العطاء، بل كان منهم شعراء ذوو أثر في حركة الشعر كالوليد بن يزيد. كما كان بعضهم يكتب إلى الشاعر أو الراوية فيستقدمه من العراق إلى الشام على البريد كما فعل هشام ابن عبد الملك مع حماد الراوية.

#### ذو الرمة

وهو أبو الحارث غيلان بن عقبة العدوي المضري المعروف بذو الرمة، ولد سنة 77 هـ 696م في فيفاء الدهناء ببادية إلىمامة ونشأ فيها وكان شديد القصر دميماً يضرب لونه إلى السواد. أكثر من الترحال إلى العراق ولا سيما البصرة والكوفة. وقد علق مية بنت طلحة بن قيس بن عاصم المنقري التميمي، وظل طول حياته هائماً بحبها، وكان يسميها في شعره تارة مية وتارة خرقاء، وقد كانت جزء من حياته، وينبوعاً دافقاً لشعره. ولما نشب الهجاء بين جرير والفرزدق دخل ذو الرمة بينهما وناصر الفرزدق على جرير. وتوفي حوالي سنة 117 هـ 735م.

لذو الرمة ديوان شعر ينقسم قسمين كبيرين: شعر الغزل، وشعر الصحراء، أما الأول فأناشيد حب ووله يوجهها إلى مية معبراً عن خوالج نفسه، وأما الثاني فلوحات صحراوية تتجلى فيها حياة البادية في روعة فريدة. هذا شاعر شغل حب مية قلبه وتغلغل إلى أعماق نفسه، لا يفارقه اسمها نهاراً ولا خيالها ليلاً، والظاهر أنها تزوجت من ابن عمها عاصم، وإذا الشاعر يأنس يقول:

بدا اليأس من مي على أن نفسه طويل على آثار مي نحيبها

هو يأنس لا ينسى، والذكرى تزيده يأساً واحترافاً، وإذا عيناه نوب من الدموع المنهمرة بلا انقطاع، من الدموع الخانقة، وإذا اسم مية يتردد على لسانه في كل بيت من أبياته بل عدة مرات في البيت أحياناً. وذو الرمة دائم الإعلان لحب مية وما يتغلغل منه في روحه وعظامه وأحشائه، وإن زفراته لتتناسب في صدره فتكاد تحطمه تحطيماً، وإن الإنسان ليخيل إليه في كثير من الأحوال أنه لم تعد فيه بقية، فقد أصبح زفرات خالصة يلهبها

وإلى جانب مية أحب الشاعر الصحراء وكلف بها وبما فيها أشد الكلف، ولئن وصف قدامى الشعراء الصحراء فإن ذو الرمة انفرد منهم بعشقه لها، فهو يمتزج فيها، ويصفها، وهو متغلغل في داخلها وهي ممتزجة بروحه. ومن ثم كان وصفه لها لوحات حية ينتزعها من صدره وقلبه. وإذا هناك "فيلم" سينمائي غرامي وصفي، تتابع فيه مشاهد الصحراء في رمالها وأعشابها وحيوانها، في أرضها وسمائها، في ليلها ونهارها، في اضطرابها وصفائها. وكانت الصحراء في شعر ذو الرمة غاية يتوجه إليها، وهدفا يرمي إليه، ومحط رحال وآمال. وهو في هذا الوصف الحسي يبرهن عن مقدرة عجيبة في التخطيط والتلوين والجمع بين الأضواء والظلال، ثم في التجسيم والتركيذ، كما يبرهن عن مقدرة عجيبة في بث العواطف والحركات النفسية في الحيوان.

قال في قصيدة وصف فيها الظبية وولدها:

إذا استودعته صفصفا أو صريمة  
تتحت ونصت جيدها للمناظر  
حذارا على لسان يصصره الكرى  
بكل مقيل من ضعاف فواتر  
وتهجره إلا اختلاسا بطرفها  
وكم من محب رهبة العين هاجر

الشاعر يصور الظبية تتعد قليلا عن ابنها مخافة أن تدل عليه السباع إذا لبثت بالقرب منه، وهي مع ذلك تنظر إليه خلسة، وتجيل النظر في كل ناحية خوفا وحذرا. وهكذا كان في لوحات ذي الرمة مشاركة وجدانية بينه وبين الحيوان، كما نجد بثا لعواطف بل لحركات عواطف لا تنتهي في ديوانه، وهكذا كانت الحركة تملأ شعر ذي الرمة.

### عمر بن أبي ربيعة

هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة حذيفة بن المغيرة بن بين مخزوم بن يقظة بن مرة. وكان جده أبو ربيعة يلقب بـ "ذي الرمحين" لطوله، وكان يقال: كأنه يمشي على رمحين، وقيل إنه قاتل يوم عكاظ برمحين، فسمي "ذو الرمحين" لذلك. وكان والده عبد الله يسمي في الجاهلية بجيرا فسماه رسول الله (ص) عبد الله، وكانت قریش تلقبه "العدل" لأنها كانت تكسوا في الجاهلية بأجمعها من أموالها سنة، ويكسوها هو من ماله سنة فأرادوا بذلك أنه وحده عدل لهم جميعا في ذلك، وكان تاجرا موسرا.

ولد عمر في السنة 23 هـ 644 م في الليلة التي قتل فيها عمر بن الخطاب على الأرجح فقيل: "أي حق رفع، وأي باطل وضع" ولا يعرف بالتأكيد مكان ولادته فقد يكون الجند في اليمن وهي المدينة التي اتخذها والده مقرا لتجارته أو مكة وهي موطن العائلة أو المدينة وهي مسرح نشأته.

نشأ عمر في المدينة نشأة الترف والجاه، ولكن له من الجمال والمال ما فتح له أبواب الملاهي على مصراعها. وكان شديد الولع بالنساء، فلم تكن تسنح له فرصة اجتماع بإحداهن أو بجماعة منهن حتى ينتهزها بشوق منتقلا من ملهى إلى منتزه إلى رحلة صيد.

بعد المدينة انتقل عمر بن أبي ربيعة إلى مكة وفيها واصل حياته اللاهية مستغلا مواسم الحج للقيام بمغامراته مع النساء حتى قال:

ليت ذا الدهر كان حتما علينا كل يومين حجة واعتمارا

وقضى عمر قسما كبيرا من حياته لاهيا منتقلا من حبيبته إلى أخرى، ولسان حاله يقول:

سلام عليها ما أحببت سلامنا فأن كرهته فالسلام على أخرى

لكنه تاب في أواخر حياته وقيل "فتك عمر أربعين ونسك أربعين" يريدون أنه عاش في غوايته أربعين سنة ثم تاب في الأربعين الباقية. ومع أنه ليس من الثابت أن عمر أدرك الثمانين ومع أن الصناعة واضحة في هذا القول الذي يريد أن يوازن بين حياتي الشاعر فإنه من الثابت أن عمر أقصر عن اللهو في أواخر أيامه بعد أن هدأت فيه سورة الطيش الجاهلية.

يروى عنه أنه نذر أن يعتق عبدا من عبده كلما قال بيتا من الشعر واتفق يوما أنه رأى شابا يكلم فتاة في الطواف، ثم علم أن الفتاة ابنة عمه وأنهما تحابيا ولكن عمه كلفه من المهر ما لا يطيق فصحب عمر الفتى إلى عمه وخطب له ابنته ودفع عنه المهر وقد أثرت هذه الحادثة فيه فقال شعرا مطلعها :

تقول وليدتي لما رأيتني      طربت، وكنت قد أقصرت حيناً  
أراك اليوم قد أحدثت شوقاً      وهاج لك الهوى داء دفيناً

تضاربت الروايات في سبب موت عمر بن أبي ربيعة فقيل إنه في البحر فأحرقت سفينته ومات وقيل إن امرأة دعت عليه لأنه ذكرها في شعره فهبت عليه ريح وجرحه غصن شجرة تستترها فمات وقيل إنه مات في اليمن وكما اختلفت الروايات في سبب موته اختلفت أيضا في زمن وفاته وأغلب الظن أنه توفي في السن 93 هـ \ 712 م.

وله ديوان شعري يكاد أن يكون كله في الغزل وهو غزل يمثل عصرا وبيئة عصر الغزل في البيئة الحجازية أو في بيئة الترف الحجازية ولا نستطيع أن نفصل بين عمر وغزله دون أن نسيء إلى الإثنين معا فالغزل كل شيء في حياة عمر وفنه لأجله نظم وبسببه كان خلوده في دنيا الأدب تناوله غرضا مستقلا قائما بنفسه تارة في قصائد طويلة وغالبا في مقطوعات تشكل كل منها وحدة موضوعية تقص حادثة عارضة أو تروي خبرا طارئا في سبيل شكوى وعتاب أو نصح واعتذار أو مراسلة ورجاء أو مصالحة ومقابلة أو زيارة ومغامرة أو غير ذلك مما يكثر وقوعه بين المحبين.

## تطور النقائض في العصر الأموي

هي تلك المعارك الشعرية التي دارت رحاها بين عدد من الشعراء في العصر الأموي، وكانت ريادة في الاخلل وجرير والفرزدق، حيث يكتب الشاعر قصيدة في هجاء خصمه، فيرد الخصم (ناقضا) هذه القصيدة مع التقيد بوزنها وقافيتها، وتتفق (النقائض) مع (القلطة) في عملية نقض ما يقوله الخصم، ولكن الفرق هو ان القلطة تتطلب المباشرة والسرعة في الرد، بينما لا يشترط ذلك في شعر النقائض، والذي يظل اقرب إلى الرديات التي تتم بين الشعراء هذه الأيام، وان كانت النقائض قد تركزت على غرض الهجاء تحديدا في العصر الاموي والنقائض بين جرير والفرزدق استمرت \* 45 سنة بدأت وانتهت قبل النقائض بين جرير والاخلل (المسيحي) واستمرت \* 20 سنة بينهما. فأول ظهور لمصطلح (النقض) كان في العصر الأموي، وتحديدا فيما عرف بالنقائض.

### جرير بن عطية الخطفي

33 - 114 هـ

هو جرير بن عطية الخطفي وعطية اسم أبيه وكان رجلا مضعوفا والخطفي لقب جده حذيفة بن بدر بن يربوع وأمه هي حقة بنت معبد الكلبية وفي قاموس فيروز آبادي أن الحقة هو لقب أمه لا اسمها وكان يكنى بأبي حزره وحزره كبير أولاده. ولد جرير لعائلة متوسطة الحال حيث لم تكن أسرته على قدر من الجاه والشرف والثروة، وعلى الرغم من ذلك كان يفاخر بها وبأبيه الشعراء الآخرين فكان يتبارى معهم في مبارات شعرية، ومن أشهر من دخل معه في هذه المبارات الشعرية الفرزدق والأخلل واللذان ظلا يتبادلان معه الهجاء لعدد كبير من السنوات.

نشأ جرير في إلىمامة وفيها مات ودفن وكانت نشأته في أسرة ليست على شيء من الجاه والشرف والثروة وعلى ذلك فقد فاخر بها وبأبيه الشعراء الكثيرين الذين تعرضوا له بالهجاء فأخزاهم جميعا ولم يثبت له إلا الأخلل والفرزدق . وقد اختلفت الآراء في أي هؤلاء الشعراء الثلاثة أفضل فكان لكل منهم حزب يفضله ويتعصب له غير أن المعول عليه أن الأخلل كان أمدهم وأوصفهم للخمر والفرزدق أفخرهم وجرير أهجأهم وأنسبهم وأجمعهم لفنون الشعر . والتحم الهجاء بين أعضاء هذا المثلث الأموي زهاء أربعين سنة فكان هجاء فرزدق وجرير مملوءا فحشا وتعيرا وتعيرا أما الأخلل فكان نزيه الهجاء يعير ولا يفحش ولا يتعهر.

كان جرير على فحشه واقذاعه في هجائه كان عفيفا في غزله متعففا في حياته لا يعهر ولا يشرب الخمر ولا يشهد مجالس القيان يتظاهر بالتدين والتعصب للإسلام وكثير ما عير الأخلل بدينه والفرزدق بركة دينه وكان إلى ذلك أنوفا لا ينام على ضيم يتتبع في هجائه مساوئ خصمه أو ما يعده فيه من نقائض فيعييره ويهجوه بها وإذا لك يجد شيئا يشفي غلته اخترع قصصا شائنة وأصقها بمهجوه وغيره بها فعله بجعتن أخت فرزدق مع أنها كانت مشهودا لها للعفة وحسن السيرة. وجرير في أول أمره كان زبييري الهوى شأن شعراء مضر غير أنه بعد مقتل عبد الله بن زبير اتصل بواسطة الحجاج بن يوسف بعبد الملك بن مروان ثم بمن جاء بعده من الخلفاء الذين عاصروهم فمدحوهم وأخذ جوائزهم.

كان جرير يستهل أكثر قصائده المدحية والهجائية بالغزل التقليدي وأجمل غزله وأرقه عاطفة وأصدق شعورا ما قاله في زوجه خالدة أم حزره ولا سيما قصيدته النونية التي يظهر منها أنه كان يحب خالدة حبا شديدا وقد رثاها لما ماتت بقصيدة رائية يخيل إلى من يقرأها عن دموع شاعر تترقرق فيها وعاطفته المخلصة تتدفق منها غير أنه شوه كل هذا بأن جعله مقدمة هجاء الفرزدق هجاء مقذعا مملوءا بالشتائم والألفاظ البذيئة. وشعره على رفته وهلهته في الغزل والرتاء لا يقل في أكثر مدحه وهجائه خشونة وإغرابا عن شعر الفرزدق ومعانيه وعناصر تعبيره ومواد فخره هي في كل قصائده حتى أنه يكرر أحيانا الألفاظ والتعابير التي قالها في قصائد سابقة.

فيعد جرير واحداً من فحول الشعراء، والذي تنوع شعره ما بين الهجاء، والمدح، والغزل فقدّم العديد من القصائد التي ظهرت فيها بلاغته، نشأ جرير بالبادية وكانت أكثر إقامته بها، وكان يذهب أحياناً إلى البصرة فكان يمدح كبرائها، وهناك التقى جرير بالفرزدق وأصبح بينهما منذ ذلك اليوم صولات وجولات في الهجاء والتي استمرت سنوات عديدة، لم تنتهي إلا بوفاة الفرزدق.

### أسلوبه الشعري

تميز ثلاثة من الشعراء في العصر الأموي وهم جرير والأخطل والفرزدق، وعلى الرغم من تفوق الثلاثة في الشعر إلا أن كل واحد منهم قد تميز في اتجاه معين، وكان جرير يتميز بجودة الغزل وجمال اللفظ ورقة الأسلوب، بينما أجاد الفرزدق الفخر وقوة الشعر والألفاظ، ومال الأخطل إلى وصف الخمر والجودة في المدح والهجاء على حد سواء، وعمل عدد من النقاد على تقديم جرير وشعره على كل من الأخطل والفرزدق، وذلك نظراً لرقّة أسلوبه وحسن خلقه وصفاء طبعه مما انعكس بالتالي على شعره، وكان جرير ماهراً بالعديد من الفنون الشعرية، من الغزل والفخر والمدح والهجاء والرتاء.

بالنسبة للمدح اشتهر جرير بمدحه لبني أمية، حيث عمل على مدحهم وتمجيدهم وكان كثيره من الشعراء يسعى للتكسب من خلال مدحه، أما الرثاء عنده كان ينقسم إلى رثاء خاص بعائلته وبيته والأخر كان يخص به رجال الدولة والخلفاء، أما الهجاء فكان له أسلوبه الخاص فيه وتمكن من تحقيق الغلبة على العديد من الشعراء في المهاجة التي تدور بينهم ولم يثبت أمامه سوى الأخطل والفرزدق كما سبق أن ذكرنا، وكان يتبع أسلوب معين في الهجاء حيث يتتبع أصول الشعراء لينظم الشعر فيما يسوؤهم من ماضيهم وماضي قبائلهم، كما عمد إلى السخرية منهم فجاء هجاؤه لاذعاً وقاسياً.

### الفرزدق

الفرزدق هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي وكنيته أبو فراس . وهو من سلالة مضر بن نزار . شاعر من النبلاء و عظيم الأثر في اللغة وسمي الفرزدق لضخامة وتجهم وجهه .لقبه الفرزدق ، ومعناها الرغيف ، لقب بذلك لجهامة كانت في وجهه ، وقيل لقب ودمامة ، إذ كان وجهه كالرغيف المحروق ،

نشأة الفرزدق : الفرزدق شاعر أموي مشهور ، ولد في كاظمة في الكويت "حاليًا" عام 38هـ الموافق سنة 658 م . نشأ في البصرة و نبغ في الشعر منذ صغره .

منزلة الفرزدق : الفرزدق من شعراء الطبقة الأولى من الأمويين ، ومن نبلاء قومه وسادتهم ، يقال أنه لم يكن يجلس لوجبة وحده أبدا ، وكان يجير من استجار بغير أبيه ، وجده صعصعة كان محيي الميودات وهن البنات التي كانت تدفن قبل الإسلام في الجاهلية . وكان الفرزدق كثير الهجاء ، إذ أنه اشتهر بالنقائض التي بينه وبين جرير الشاعر . حيث تبادل الهجاء هو وجرير طيلة نصف قرن حتى توفي جرير سنة 732 م.تنقل بين الأمراء والولاة يمدحهم ثم يهجوهم ثم يمدحهم.

نظم الفرزدق في معظم فنون الشعر المعروفة في عصره وكان يكثر الفخر يليه في ذلك الهجاء ثم المديح . مدح الخلفاء الأمويين بالشام ، ولكنه لم يمدحهم لتشيعه لآل البيت . كان معاصرا للأخطل ولجرير الشاعر أيضا ، وكانت بينهما صداقة حميمة ، إلا أن النقائض بينهما أوهمت البعض أن بينهما تحاسدا وكرها ، وانتشعب الناس في أمرهما شعبتين لكل شاعر منهما فريق ، ولجرير في الفرزدق رثاء جميل

كانت للفرزدق مواقف محمودة في الذود عن آل البيت ، وكان ينشد بين أيدي الخلفاء قاعدا . يقول أهل اللغة :  
لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث العربية كان مقدما في الشعراء ، وصريحا جريء ، يتجلى ذلك عندما يعود له الفضل  
في أحياء الكثير من الكلمات العربية التي اندثرت. من قوله:

إذا مت فابكيني بما أنا أهله  
فكل جميل قلته فيّ يصدق  
وكم قائل مات الفرزدق والندى  
وقائلة مات الندى والفرزدق

قدم هشام بن عبد الملك للحج برفقة حاشيته وقد كان معهم الشاعر العربي الفرزدق وكان البيت الحرام  
مكتظاً بالحجيج في تلك السنة ولم يفسح له المجال للطواف فجلب له متكأ ينتظر دوره وعندما قدم الامام زين العابدين  
علي بن الحسين (ر) انشقت له صفوف الناس حتى ادرك الحجر الاسود فتارت حفيفة هشام واغاضه ما فعلته  
الحجيج للامام فقال هشام بن عبد الملك من هذا ؟ فأجابه الشاعر العربي الفرزدق هذه القصيدة وهي اروع ماقاله  
الفرزدق:

هذا الذي تعرف البطحاء وطنته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا بن خير عباد الله كلهم	هذا التقى النقي الطاهر العلم
هذا بن فاطمة ان كنت جاهله	بجده انبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا؟ بضائره	العرب تعرف من انكرت والعجم
كلتا يديه غيات عم نفعهما	يستوكفان ولا يعرفهما عدم
سهل الخليفة لاتخشى بواده	يزينه اثنان حسن الخلق والشيم
حمل ائفال اقوام اذا امتدحوا	حلو الشمائل تحلو عنده نعم
ما قال لا قط الا في تشهده	لولا التشهد كانت لاءه نعم
عم البرية بالاحسان فانقضت	عنها الغياهب والاملاق والعدم
اذا رآته قريش قال قائلها	الى مكارم هذا ينتهي الكرم
يغضي حياء ويغضي من مهابته	فلا يكلم الا حين يبتسم
بكفه خيزران ربحها عبق	من كف ارووع في عرنيه شم
يكاد يمسه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم	
الله شرقه قدما وعظمه جرى بذاك له في لوحة القلم	
أي الخلائق ليست في رقابهم	لأوليئه هذا اوله نعم
من يشكر الله يشكر اوليئه ذا	فالدين من بيت هذا ناله الامم
ينمي الى نروة الدين التي قصرت	عنها الاكف وعن ادراكها القدم
من جده دان فضل الانبياء له	وفضل امته دانته له الامم
مشتقة من رسول الله نبعته	طابت مغارسه والخيم والشيم
ينشق نور الدجى عن نور غرته	كالشمس تتجاب عن اشراقها الظلم
من معشر حبهم دين وبغضهم	كفر وقربهم منجى ومعتصم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم في كل بدء ومختوم به الكلم	
ان عد اهل التقى كانوا ائمتهم	او قيل من خير اهل الارض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد جودهم	ولا يدانيهم قوم وان كرموا
هم الغيوث اذا ما ازمة اذمت	والاسد اسد الشرى والبأس محتدم
لا ينقص العسر بسطاً من اكفهم	سيان ذلك ان اثروا وان عدموا
يستدفع الشر والبلوى بحبهم	ويسترب به الاحسان والنعم

كان جد الفرزدق يشتري المؤودات في الجاهلية ثم أسلم أبوه بعد ظهور الإسلام . تربى الفرزدق في البادية فاستمد منها فصاحته و طلاقة لسانه .توفي في بادية البصرة وقد قارب المئة ، وتوفي سنة 110 هـ الموافق 728 م

## الأخطل

(نحو 20-92هـ/640-710م)

أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت، شاعر أموي فحل، وأحد شعراء النقائص البارزين، ينتمي إلى قبيلة تغلب، وهي قبيلة كثيرة العدد، منبئة الجانب كانت تنزل أراضي الجزيرة بين دجلة والفرات، ويدين أكثر أبنائها، ومنهم الأخطل، بالمسيحية. وقد غلب على الشاعر لقب «الأخطل» لسفاهته وسلطة لسانه. ويقال إن أمه لقبته في صغره بدوبل، وهو الخنزير الصغير، وقد عيره جرير بهذا اللقب.

ولد الأخطل في ديار قومه بالجزيرة ، ونشأ فيها نشأة بدوية خالصة، وظهر ميله إلى قول الشعر، ولاسيما الهجاء. ثم اتصل ببعض أشرف قبيلة ربيعة في العراق ومدحهم. غير أن صيته لم يذع إلا بعد اتصاله بالبيت الأموي في دمشق. وقد استعان به يزيد بن معاوية في هجاء الأنصار، ليرد على تشبيب عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري برملة بنت معاوية أخت يزيد، فهجاهم بأبيات هجاء موجعا ومنها قوله:

ذهبت قريش بالمكارم والعلا واللؤم تحت عمائم الأنصار

وثار الأنصار لهجاء الأخطل إياهم وشكاه سيدهم النعمان بن بشير إلى معاوية، فوعدهم بقطع لسانه، ولكن يزيد حال دون ذلك، وأصبح الأخطل بعدئذ نديماً ليزيد، يحضر مجالس لهوه وشرابه وينشده مدائحه. ولما مات يزيد رثاه الأخطل بقصيدة هي المراثية الوحيدة في ديوانه. وبعد وفاة يزيد واعتزال ابنه معاوية الثاني الحكم اضطرب أمر الأمويين، ونازعهم عبد الله بن الزبير الأمر، ووقفت قبيلة قيس إلى جانبه، في حين ناصرته اليمانية وأهل الشام بني أمية وبايعوا مروان بن الحكم. ونشبت بين الفريقين موقعة «مرج راهط» التي انتصر فيها بنو أمية واليمانية، فلجأت قيس مع زعيمها زفر بن الحارث إلى الشمال واستقرت قرب الخابور مجاورة لبني تغلب. وقد استقبل التغالبة القيسيين استقبالا حسنا في بادئ الأمر، ولكن لما تحرش القيسية ببني تغلب، وكثرت غاراتهم عليهم ناصبتهم تغلب العداوة ووقعت بين القبيلتين وقائع كثيرة، تركت صداها في شعر شعراء القبيلتين.

وقد اشترك الأخطل في إحدى هذه الوقائع، وقتل أبوه، أو ابنه فيها، كما أسر الأخطل نفسه، ثم أطلق سراجه لأنهم ظنوه عبداً. وقد استطاع عبد الملك، آخر الأمر، أن يصلح ما بينهما، واحتمل ديانت القتلى. وقد وقف جرير في جانب القيسية بعد أن وقعت العداوة بينه وبين الأخطل.

قرّب عبد الملك الأخطل، وأفاض عليه عطايه لجودة مدائحه فيه وفي بني أمية. وانقطع الأخطل إلى بني أمية، وقال فيهم أجود مدائحه، وهجا أعداءهم، فمدح من خلفائهم، غير يزيد ابن معاوية، عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك، ومدح من ولاتهم وأشرفهم بشر بن مروان وعبد الله بن أسيد، وكان مديحه لبني أمية من أجود ما قيل من الشعر السياسي في العصر الأموي. ومن أجود مدائحه فيهم رأيته «خف القطين» التي يقول فيها:

حشد على الحق عيافو الخنى أثف إذا ألمت بهم مكروهة صبروا  
شمس العداوة حتى يستقاد لهم واعظ الناس أحلاما إذا قدروا

ولم يكتف الأخطل بمدح بني أمية، بل هجا أعداءهم حتى قويت دالته على الخليفة، وكان يستغل مدائحه في نصرة قومه بني تغلب، وتحريض بني أمية على القيسية أعداء قومه، وقال في ذلك شعراً كثيراً، منه قوله:

بني أمية إني ناصح لكم فلا بيتن فيكم أمانا زفر



وفي عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك بقي الأخطل مناصراً للأُمويين مادحاً للخليفة، ولكن خصوم الشاعر استطاعوا أن ينالوا منه لدى الخليفة الذي كان أكثر تديناً من أبيه واتصافاً بالتقوى وأقل رغبة في الشعر والأدب، وغدا نفوذ الأخطل ضئيلاً وكلامه غير مسموع مما اضطره إلى الابتعاد عن البلاط خوفاً من دسائس الوشاة.

توفي الأخطل في السنة الخامسة من خلافة الوليد بن عبد الملك، وقد بلغ السبعين، ولا تتوفر معلومات موثقة عن مكان وفاته، والأرجح أنه مات بين قومه في الجزيرة. وقد مات على دينه، ويظهر أن عبد الملك حاول ترغيب الشاعر في اعتناق الإسلام، إلا أن الأخطل كان يعتذر ويتخلص بلباقة. وظلّ وفيّاً لدينه، وتحمل في آخر حياته - من خشية الموت - رياضات الزهد والتوبة والندم، ولا يوجد لعقيدته الدينية في ديوانه إلا أثر ضئيل.

كان الأخطل مسرفاً في الشراب، وكان مرحاً، بارعاً في التهكم والهجاء، ولكنه كان عفيفاً يبتعد عن التبذل في القول، ويحافظ على عفة اللسان مع سلاطته.

وكان يتخلق بأخلاق البدو ويلبس أزياءهم، حتى في البلاط الأموي، وينفر من المدينة ويحن إلى الصحراء. وكان متعلقاً بأسرته، والراجح أنه تزوج في الجزيرة بامرأة من قومه هي أم مالك رزق منها أبناء كثيرين، ثم طلقها بعد أن اختلف معها وتزوج أخرى، ثم حن إليها، وكانت بعض الاجتهادات المسيحية تجيز الطلاق.

جمع الأخطل في شخصه صفات متفاوتة، فقد قرن الإقدام والجرأة إلى الدهاء والاطلاع الواسع، وكان قومه يأخذون برأيه، وكثيراً ما شفع لأفراد منهم لدى الخليفة، وكان إلى هذا يخضع للرؤساء الروحيين لدينه خضوع الطفل، كما خضع للأُمويين، ولم يكن يعبأ بما يلقاه من سخط الناقلين عليه.

تناول الأخطل جميع الأغراض الشعرية المعروفة، وكان ينظم شعره في الإطار التقليدي للشعر العربي الخالص المتوارث عن الجاهليين، وقد تفوق في المديح، وارتقى به من المديح الفردي الذي عرف في الجاهلية، إلى الشعر السياسي الذي سخره لخدمة الخلافة الأموية وتأييدها والتنديد بخصومها.

وقد ساقه موقفه من بني أمية إلى هجاء خصومهم، وكان هجاؤه مزدوج الغاية يرمي به إلى الدفاع عن بني أمية، كما يرمي به إلى الدفاع عن نفسه وقومه.

وكان الأخطل قد دخل معركة النقائص بعد أن بلغ قمة شهرته، وانحاز إلى الفرزدق، فاتصل الهجاء بينه وبين جرير، ونكاية بالأخطل أخذ جرير يمدح قيس عيلان، فيرد عليه الأخطل بهجائه وهجاء قيس. وكان هجاء الأخطل هجومياً وموجعاً من غير فحش، يطعن بالقبيلة أكثر مما يطعن بالفرد المهجور.

وقد تفوق الأخطل بالموضوعات الخمرية، كما برع في وصف الطبيعة التي أحبها فوصف الفرات والفلوات والحرر الوحشية والأراقم، أما الفن الذي قصر فيه فهو الرثاء.

امتاز شعر الأخطل بالجزالة وطول النفس وسلامة التعبير وحسن السبك، وكان يحرص على تهذيب شعره وتنقيحه، ويروى أنه أقام سنة في نظم قصيدته «خفّ القطين»، وقد أجمع القدامى على أنه أحد الثلاثة المتفوقين في فنون الشعر في العصر الأموي، أما الآخرين فهما جرير والفرزدق، وكان يجري في شعره على سنن الشعراء الجاهليين.

للأخطل منزلة تاريخية إضافة إلى منزلته الأدبية، فقد كان، بسبب اتصاله بالبلاط الأموي وانقطاعه إلى الأمراء والخلفاء واشتراكه الفعلي في الأيام والمعارك التي خاضتها قبيلته، يمثل الواقع السياسي للحكم الأموي وتتأخر الأحزاب واشتداد العصبية القبلية، حتى عدّ شعره سجلاً حياً للعصر الأموي. ترك الأخطل كثيراً من القصائد، جمعها قديماً أبو سعيد السكري وضبطها ودونها في ديوان. وطبع الديوان في العصر الحديث عدة طبعات.

## النثر في العصر الأموي

النثر الأدبي في العصر الأموي يتمثل في الخطابة والرسائل، وإذا كان القصد من النثر الأدبي هو التأثير وإثارة العواطف، فإن الخطبة والرسالة لهما الأثر الكبير في إثارة العواطف ومن ثمّ التأثير في الناس، والخطبة تؤثر في الناس أكثر من تأثير الرسالة. فأول فنونه وأكثرها ازدهاراً فن الخطابة، الذي نهضت به عوامل مختلفة، أبرزها العوامل السياسية ممثلة في الفرق والثورات المختلفة، ثم عروبة بني أمية وولائهم من أمثال الحجاج بن يوسف الثقفي، ثم هناك عامل الجهاد الذي اتسع في عهد الدولة الأموية بحكم رغبتهم في توسيع رقعة الدولة الإسلامية. وهناك عامل آخر مهم هو نمو تيار الوعظ الديني، الذي تمخض عن خطباء كثر.

وأشهر الخطباء الأمويين معاوية نفسه وعبد الملك بن مروان وعمر ابن عبد العزيز. ومن ولائهم الحجاج بن يوسف الثقفي وزيد بن أبيه. أما خطباء الفرق، فإن أشهرهم من الخوارج أبو حمزة الشاري ونافع بن الأزرق والطرماح بن حكيم ومن خطباء الزبيريين رئيسهم عبد الله بن الزبير نفسه.

وإلى جانب الخطابة السياسية عرف العصر الأموي الخطابة الدينية الوعظية، ومن أشهر خطباء هذا التيار: سعيد ابن جبير وعبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيّب والحسن البصري. وقد اتسع هذا التيار الخطابي وكثر رجاله، وزخرت المصادر بنصوصه. كما وُجِدَت خطابة الوفود إذ كان معاوية بن أبي سفيان أول من فتح أبواب قصره للوفود التي وفدت إلى ساحته. وممن خطب بين يدي معاوية سحبان وائل والأحنف بن قيس

## الخطابة في العصر الأموي

وفي العصر الأموي (40 - 132 هـ) (661 - 750 م) ازدهرت الخطبة بحيث كانت البوق الإعلامي للدولة الأموية وخصومها على السواء. والواقع أن الدولة الأموية وعصرها يمثلان نموذجا للعجب، فتلك الدولة التي عاشت أقل من قرن هي التي امتدت فيها الفتوحات العربية فيما بين حدود الهند والصين شرقا إلى جبال البرانس جنوب فرنسا، ودمرت اسطول البيزنطيين واحتلت بعض جزر البحر المتوسط.. هذا في الوقت الذي عاشت فيه الدولة الأموية حروبا هائلة في الداخل ضد خصومها من الخوارج والشيعية والموالي والاقباط والبربر، ومن الهاشميين والزبيريين وحتى من داخل الجيش الأموي نفسه، مثل ثورة ابن الأشعث وثورة المهالبة، وحتى من داخل البيت الأموي نفسه، وهكذا إلى أن جاء الخطر الأكبر على الدولة متمثلا في الدعوة العباسية لتقضي على الدولة الأموية في ريعان شبابها بعد أن اجهدت نفسها في حروب داخلية وفتوحات خارجية.. وهذا الضجيج الحربي في الداخل والخارج يمكن ارجاعه إلى عامل أساسي هو قيام الأمويين في تحويل الشوري الإسلامية (ديمقراطية العصر انذاك) إلى حكم استبدادي قهري عنيف، وتحويل الانتماء من الدين إلى الانتماء إلى العصبية العربية القبلية، وقد حاول الأمويون شغل المسلمين العرب عن هذا بالفتوحات، إلا أن الخروج على الدولة استمر مقترنا بحركة الفتوحات أحيانا مما ادي إلى اسقاطها في النهاية.. والدولة الأموية هي التي تمثل الثقافة العربية الاصلية، هذا اذا اعتبرنا الثقافة هي النمط السائد للسلوكيات والعادات والتقاليد الاجتماعية، ولذلك ازدهر مع الضجيج الحربي والخلافات والثورات دخول اسلحة اخري في ميدان المعارك كان اهمها الشعر، والخطابة، وكانت مؤهلات القائد اذا كان الخليفة او واليا او ثائرا ان يتمتع بالشجاعة والكرم والفصاحة وتذوق الشعر ونظمه، مثلما اعتاد العرب في صحرائهم. وتلك الحركة المستمرة في الغزو او في الثورة والمواجهات الداخلية لم تعط فرصة كافية لقيام حركة تدوين للافكار السائدة او المعارك الضارية، لذلك فان التاريخ لهذه الدولة الاموية قد تم بعد سقوطها وفي عهد الخلافة العباسية المعروفة بعوائها الشديد للامويين. وغياب التدوين وعدم الاهتمام الكبير بالمراسلات الخطبية اوسع مكانا هاما للخطبة الشفهية المعيرة عن الروح الاصلية للعربي الذي كان يفاخر وقتها بفصاحته وشجاعته، او بأنه يملك فصاحة اللسان وشجاعة السنان. ومن هنا يمكن القول بأن الخطبة كانت اهم عنصر دعائي في

العصر الاموي للخليفة او الوالى او الثائر على السواء ... بحيث يمكن التاريخ للعصر وتفسيره من خلال الكم الهائل من الخطب التي قيلت فيه وقامت بالدعاية لقاتل الخطبة واتباعه . ونتج عن طغيان الهدف الدعائي على الخطبة ، ان تحولت الخطبة الدينية ( خطبة الجمعة ) إلى خطبة سياسية . وبعد زوال الدولة الاموية لم ينته تحويل خطب الجمعة إلى غرض سياسي ، بل اصبح من شعائر الاعتراف بالحاكم هو الدعاء له في خطبة الجمعة ، ولا زال ذلك ساريا حتي الان . وقد سبق ان خطبة الجمعة في عصر الرسول كانت قراءة القرآن وتفسيره، أي كانت خطبة دينية صرفة ، ولكن تحولت في الدولة الاموية إلى خطب سياسية صرفة .

وبازدهار الخطب السياسية الدعائية فقد عرف العصر الاموي ما يمكن تسميته بالمناظرات الخطابية ، حيث كانت الخطبة تحل محل السلاح في موضع لا مجال فيه لاستعمال هذا الاخير، وحينئذ يتم التحارب بالخطب بديلا عن السلاح.

وحدثت الكوارث في الدولة الاموية بتولي يزيد الخلافة بعد ابيه معاوية ، كأول عملية وراثية للحكم في تاريخ المسلمين ، بعد نظام الثورة. وكي يمهد معاوية لهذا الامر الخطير فقد اقام حركة دعائية ضخمة عن طريق ولاته وكبار اتباعه وقادته ، وجري في هذه الحركة ما يمكن تسميته بمهرجان الخطب التي تباري فيها المتحدثون في تزكية يزيد وتأييد ولايته . وفي المواقف الهامة في التاريخ الاموي اشتهرت بعض الخطب . ومنها خطبة معاوية بن يزيد بن معاوية حين اعلن تنازله عن الخلافة الامر الذي ادى إلى تفكك الدولة وحروب اهلية وموت الخليفة المعتزل نفسه ، وقد قال في خطبته ( قد ضعفت عن امركم ، ولم اجد لكم مثل عمر بن الخطاب لأستخلفه ، ولا مثل اهل الشورى، فأنتم اولي بأمركم فاختراروا من احببتم(وكذلك خطبة عبد الملك بن مروان في اهل المدينة ) يا معشر قريش ، وليكم عمر بن الخطاب فكان فظا غليظا مضيقا علىكم فسمعتم له واطعتم ، ثم وليكم عثمان فكان سهلا لنا كريما فعدوتم عليه فقتلتموه ، وبعثنا علىكم مسلما يوم الحرة فقتلكم ، فنحن نعلم يا معشر قريش انكم لا تحبوننا ابدا وانتم تذكرون يوم الحرة ، ونحن لا نحكم ابدا ونحن نذكر مقتل عثمان .

واشتهر الحجاج بن يوسف الثقفي بالشدّة مع الفصاحة ، وخطبه كثيرة ، منها خطبته حين قدم الكوفة فاتاها ملثما وصعد المنبر وحسر اللثام عن وجهه و انشد : انا ابن جلا وطلاع الثنايا متي اضع العمامة تعرفوني ثم بدأ يقول ( اني والله لأري ابصارا طامحة واعناقا متطاولة ، وورعوسا قد اينعت وحان وقت قطافها واني صاحبها . ) . ومنها خطبة طارق بن زياد حين احرق السفن بعد ان عبر إلى اسبانيا ، ذلك المضيق الذي سمي باسمه فيما بعد ، قال ( ايها الناس : اين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم وليس لكم والله الا الصديق والصبر ، واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الايثام في مأدبة اللثام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه في اسلحته واقواته الموفورة وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم ولا اقوات لكم الا ما تستخلصونه من ايدي عدوكم . ) . وهذا التأثير الكبير للخطبة في العصر الاموي وصل إلى سرير الزوجية في ليلة الزفاف ، يحكي شريح اشهر قاضي في العصر الاموي انه ليلة ان دخل بزوجه التميمية و خلا البيت يقول ( فمددت يدي ناحيتها فقالت : على رسلك يا ابا امية كما انت، ثم قالت : الحمد لله احمده واستعينه واصلي على محمد واله ، اني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك فبين لي ما تحب فاتته وما تكرهه فازدجر عنه .. ، يقول القاضي ( فأحوجتني والله إلى الخطبة في ذلك الموضع ، فقلت الحمد لله احمده واستعينه واصلي على النبي واله وسلم ، وبعد فانك قد قلت كلاما ان تثبتي عليه يكن ذلك حظك وان تدعيه يكن حجة عليك ، احب كذا

هكذا نرى ان الخطابة السياسية وجدت جذورها وترعرعت في اطار الدولة الاموية واصبحت الخطب مثلا يحتذى به في العصور اللاحقة.

## أشهر الخطباء في العصر الأموي

### زياد بن أبيه

وهو أبو المغيرة زياد بن سمية المعروف بزياد بن أبيه من أهل الطائف، وينسب إلى أبي سفيان. ولد حوالي سنة الأولى للهجرة، وكان منذ حداثة سنه سديد الرأي ماضي المهمة، وقد ولي بعض العمال فأظهر صرامة ولباقة، ولما تسلم معاوية زمام الخلافة استحلقه بنسبه بعد أن أشهد أناسا من المسلمين أنه ابن أبي سفيان، وولاه البصرة والكوفة وخراسان وسجستان، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان فساس البلاد سياسة صارمة وطدت أركان الأمن وقضت على كل شغب وفساد، ولبت على تلك الحال إلى أن توفاه الله سنة 673 م 53 هـ.

وله عدد من الخطب السياسية والإدارية أشهرها الخطبة البتراء التي ألقاها سنة 665م 45 هـ ولما قدم البصرة واليا من قبل المعاوية. وقد سميت خطبته البتراء لعدم بدئها بحمد الله. وقد تولى زياد بن أبيه أعمال البصرة والكوفة وخراسان وسجستان بيد شديدة، فقام على المنابر خطيبا ينشر الدعوة لبني أمية، ويدعو إلى السكينة والانقياد، فكانت خطاباته سياسية بحتة. وكان إلى ذلك يتمتع بسلطان واسع على أبناء ولايته كما كان شديد الاطلاع على أحوالهم النفسية، وعلى انضمام الكثيرين منهم إلى صف الشيعية والشعوبية. ورأى أن السلام لا ينال إلا بالقسوة الساهرة، وكان إلى ذلك كله رابط الجأش، حاد البصر، نافذ البصيرة، خبير بأحوال الشعوب ونفسياتها، فأطلق لسانه يوم قدم البصرة واليا، فكانت خطبته البتراء وهي أشهر خطبته على الإطلاق. ويروي أنه لما فاه بها وجم لها الناس فمنهم من أذعن لها خائفا، ومنهم من أثنى متملقا، ومنهم من حاول الإنكار، ولكن سياسة زياد بن أبيه العملية لم تلبث أن بينت للناس أنه جاد غير هازل في ما أعلن من نذير. وقد عدت تلك الخطبة إعلانا لأول حكم عرفي في الاسلام.

### الحجاج بن يوسف

وهو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي ولد في الطائف نحو سنة 661م 41 هـ ولما شب احترف مهنة التعليم، ثم انضم إلى الجيش، ثم إلى شرطة روح بن زنباع الجذامي وزير عبد الملك بن مروان. ثم ولي على جند عبد الله بن الزبير في الحجاز وقتله، ثم ولي العراق وفيه من الأحزاب نار مشبوبة، فكان حربا هائلة على كل ثورة وقتنة. وهكذا كان الحجاج رجل إدارة وشجاعة. كما كان حاكما مستبدا، وداهية من أدهى الداهية وأعنفهم، وقد أضاف إلى أعماله أنه بنى مدينة واسط بين الكوفة والبصرة. وقد توفي سنة 714م 95 هـ.

خلق الحجاج أديبا وخطيبا، فكان من أعلام الفصاحة والبيان. والخطبة عنده انفعال صاخب وكلام لا هب. إنه نفسية شاذة تريد تكوين الذات على جثث القتلى، وتستطيب سفك الدماء في سبيل غاية تنتشدها، والوسيلة عندها صالحة أيا كانت، والناس في نظرها قطيع غنم يساق بالعصا، ويجزر ويذبح، وليس لهم أن يرو رأيا، ولا أن يعترضوا اعتراضا، ولا أن يحكموا في صالح أو باطل. لقد خط له زياد بن أبيه الطريق، وأراد أن يتجاوز الغاية، فمضى في تعسفه قولاً وفعلاً، ومضى في طغيانه يردد ويهدد، فكان كلامه صورة لغليانه وشتى أحوال نفسه العنيفة. ولم يكن الحجاج ليصطنع القوة اصطناعاً، ولم يكن ليزيف الكلام تزييفاً. إن أعماله وأقواله صادرة عن تجربة ذاتية صادقة، صادرة عن طبيعة تندفق في ما تفعل وفي ما تقول. هدف الحجاج كزياد بن أبيه إلى فرض السياسة الأموية وإلى إصلاح الاجتماعي الذي تسيطر معه تلك السياسة. وبعث الحجاج الذهول في نفوس المستمعين، فينهال عليهم تهديدا وترهيبا، في غير لين ولا شفقة، وهو يعتمد في ذلك إلى ضروب من العوامل الإرهابية، فيبث القوة في كل ما يقول وما يفعل.

### المناقشة

#### أجب في جملة أو جملتين:

- (1) في أي يوم ولد عمر بن أبي ربيعة؟
- (2) ما هو شعر النقائض؟
- (3) ما هو الاسم الكامل للفرزدق؟
- (4) ما هي كنية الفرزدق؟
- (5) ما هي أنواع نثر العصر الأموي؟
- (6) أذكر إثنين من الخطباء في العصر الأموي؟
- (7) أين ولد حجاج بن يوسف؟
- (8) لماذا سمي زياد بن أبيه باسمه؟
- (9) أين نشأ جرير؟
- (10) من هو شاعر الغزل في العصر الأموي؟

#### أكتب مذكرة وجيزة حول الآتية:

- (1) حجاج بن يوسف
- (2) شعر النقائض
- (3) فن الخطبة في العصر الأموي
- (4) جرير بن عطية
- (5) الأخطل

#### أكتب مقالة حول الآتية:

- (1) الشعر في العصر الأموي
- (2) فن الخطبة والخطباء في العصر الأموي
- (3) شعر النقائض وأصحابه

## الوحدة الرابعة

### العصر العباسي

#### الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية

قامت الدولة العباسية عام 132 هـ بعد سقوط الدولة الأموية، وكان لسقوط الدولة الأموية أسباب كثيرة، منها: الصراع بين الأمويين وآل البيت، وكرهية الموالي للأمويين لتعصبهم للعرب، والنزاع بين القبائل العربية، وضعف الخلفاء الأمويين في آخر أيامهم...

ولطول العصر العباسي قد قسمه المؤرخون إلى عدة عصور، هي:

1- العصر العباسي الأول: ويبدأ من قيام الدولة عام 132 هـ وينتهي بتولي المتوكل الخلافة عام 232 هـ.

2- العصر العباسي الثاني: ويبدأ من مكح المتوكل عام 232 هـ. وينتهي بسيطرة البويهيين عام 334 هـ.

3- العصر العباسي الثالث: ويبدأ بسيطرة البويهيين عام 334 هـ وينتهي ببدء نفوذ السلاجقة عام 447 هـ.

4- العصر العباسي الرابع: ويبدأ بسيطرة السلاجقة عام 447 هـ. وينتهي بسقوط بغداد في يد هولاكو عام 656 هـ.

وقد تابع مؤرخو الأدب المؤرخين في هذا التقسيم، ورأى بعضهم أن يقسم العصر العباسي إلى قسمين فقط هما:

- العصر العباسي الأول (132 هـ - 334 هـ).

- العصر العباسي الثاني (334 هـ - 656 هـ).

وفي دراستنا للأدب العباسي لن نلتزم بالتقسيمات السياسية للعصر؛ لأن العصور الأدبية المختلفة تحمل بعض الخصائص والمؤثرات من العصور السابقة ويمتد أثرها إلى العصور اللاحقة ويصعب تحديدها بالأحداث السياسية، لكننا لن نهمل الإشارة إلى التطورات التي مر بها الأدب العباسي في كل عصر من عصوره.

وقد كان الفرس هم دعامة الثورة العباسية، لذلك كانت لهم المكانة الكبيرة فيها؛ فقد اتخذ الخلفاء وزراءهم وكتابهم من الفرس منذ قيام الدولة، حيث تولى الوزارة على عهد السفاح أبو سلمة الخلال، ثم خالد بن برمك (جد البرامكة)، وفي عهد المنصور تولى الوزارة أبو أيوب سليمان المورياني، ثم أبو الفضل الربيع بن يونس، وفي عهد الرشيد يحيى بن خالد البرمكي، وفي عهد المأمون الفضل بن سهل والحسن بن سهل وهكذا.

ومع نفوذ الفرس القوى منذ قيام الدولة إلا أن الخلفاء الأوائل كان لهم من القوة والشأن ما مكنهم من البطش بكيار الفرس عند الشعور بأي خطر أو خيانة؛ فقد قضى المنصور على أبي مسلم الخراساني أعظم من ساهم في القضاء على الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، كما أن الرشيد نكب البرامكة وقضى عليهم عندما أحس بخطرهم، وكذلك فعل المأمون بآل سهل.

لكن نفوذهم قد قوي بعد ضعف الخلفاء العباسيين، حتى أصبحوا هم الحكام الفعليين للدولة، حتى إنهم كانوا يعزلون الخليفة إذا لم يخضع لهم، ويتجلى ذلك واضحاً في عهد السيطرة البويهية. وقد أدى نفوذ الفرس السياسي والثقافي إلى انتشار الثقافة الفارسية والعادات والتقاليد التي ورثوها عن حضارتهم السابقة.

كما أدى ذلك إلى بروز حركة (الشعوبية)، وهي حركة تدعو إلى احتقار العرب ونشر مثالبهم، ليصلوا من خلال ذلك إلى الطعن في الإسلام ورجاله، فهي حركة عدائية ضد الإسلام والمسلمين. وقد تصدى لها كثير من الكتاب بالرد والتفنيد كالجاحظ وابن قتيبة.

وقد دخلت عناصر جديدة في الصراع على مراكز القوة والسيطرة في الدولة العباسية؛ فبعد أن كان العرب والفرس يمثلون القوى المتصارعة في الدولة أصبح للأتراك منذ عهد المعتصم نفوذ كبير عندما استعان بهم وبنى لجنده منهم مدينة (سامراء) عام 221 هـ. وبعد ذلك قوي نفوذهم حتى أنهم قتلوا الخليفة العباسي المتوكل عام 247 هـ، وسيطروا على الدولة في الفترة من 247 إلى 334 هـ.

أما الحياة الاجتماعية في الدولة فقد كانت حياة ترف ونعيم، إذ أصبحت بغداد التي بناها الخليفة المنصور عام 145 هـ أعظم بلاد الدنيا ودرة الحضارة الإسلامية؛ فكانت مليئة بدور العلم من مدارس ومكتبات، كما شيدت بها الجسور والمستشفيات والمراصد وغير ذلك.

وقد كثر المال وعم الرخاء، فأدى ذلك إلى مظاهر من الترف والبذخ، فكثر الجواري والغلمان وأماكن الخلاعة، لكن ذلك لم يكن السمة العامة لبغداد ولا غيرها من العواصم؛ إذ أن المساجد كانت عامرة ودور العلم شاهقة، ولم يكن الناس جميعاً أهل ترف ومجون، وإنما كان هناك العباد والزهاد والعلماء والمصلحون، بل لقد أدى الإسراف في الترف وتغنى الشعراء المترفين بذلك إلى وجود اتجاه شعري مناقض لذلك تمثل في شعر الزهد والتوبة والندم.

### الحياة الفكرية في العصر العباسي

شغلت بغداد مركز الحضارة الإسلامية اعتباراً من بدايات القرن الثاني الهجري، فالخلفاء العباسيين اعتنوا بالناحية الفكرية إلى جانب اعتنائهم بالدفاع عن حدود الخلافة العباسية، ونتيجة لهذا الاعتناء فقد وجدت في نهاية النصف الأول من القرن (7هـ) تراثاً فكرياً لا تكاد حضارة من الحضارات أن تضاهيه، غير أن هذا التراث الفكري قد تعرض إلى هجمة بربرية كادت أن تقضي عليه لولا ما وجد من علماء قد اعتنوا به في الأمصار الأخرى مثل مصر وبلاد الشام والحجاز، وإلى هذه الأمصار الثلاثة يعود الفضل ليس في إحياء هذا التراث فحسب بل الإبداع فيه أيضاً. فالمراكز العلمية التي انتشرت في كافة أرجاء الشام ومصر، وساعدت على نبوغ الكثير من العلماء الذين وجدوا في تشجيع السلاطين والأمراء والقادة وعمامة الناس مما يساعدهم على النهوض بهذا التراث وتوثيقه، والعمل بكل شكل من الأشكال على إعادة صياغته وتوثيقه. إن ما تركه العصر العباسي من تراث حضاري لا يتمثل فقط في العمائر التي بنيت في العواصم الإسلامية، في كل الأمصار، والتي ما زالت آثارها باقية حتى اليوم، بل تتمثل أيضاً فيما خلفه علماء وأدباء تلك الحقبة من مؤلفات ما زالت إلى اليوم تعد من أهم مصادر البحوث والدراسات الإسلامية في شتى ألوان الفكر والثقافة.

### الأدب العربي في العصر العباسي

لم يكن حيناً على الأمويين أن يحتفظوا بملكهم طويلاً بعد عصر الراشدين، بسبب الثورات المتلاحقة التي كانت تنشب في وجههم وتنازعهم الحكم، ولأسيما ثورات الخوارج والشيعة والزييريين.. ثم كانت ثورة العباسيين سنة 132هـ/750م آخر حلقة في سلسلة تلك الثورات، التي أنهكت دولة بني أمية وألّت إلى القضاء عليها.

كان في مقدمة ماتطلع إليه بنو العباس التمرکز في حاضرة جديدة بعيداً عن دمشق موطن الأمويين، وفي منأى عن الكوفة معقل الشيعة، وقد أثار الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور لذلك موقع قرية على دجلة تدعى بغداد على مقربة من مدينة بابل القديمة، واتخذها عاصمة لملكه وأطلق عليها لقب "دار السلام" مقتبساً ذلك من القرآن الكريم. وانصرف المنصور إلى إعمار حضرته على خير وجه، فابتنى فيها القلاع والجسور،

وأقام حولها الأرباض والسدود، ونشر في ربوعها الشوارع والأسواق. ثم ما لبثت المدينة أن عمّرت بمئات المساجد والمكتبات، والأسواق والمنتزهات، فأما العلماء والأدباء، والمهندسون والصناع. ثم تعاظم شأن بغداد حتى بلغت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، أوج ازدهارها، وغدت أهم مركز حضاري في العالم، وأصبحت موئل الحركة الفكرية والعلمية والأدبية بلا منازع .

وقد ظلت البادية حتى ضحى هذا العهد ترفد المدن والحواضر بمواد اللغة والأخبار، والخطب والأشعار، بوصفها موطن الأصالة ومنبع الإبداع. ثم أخذ الرواة واللغويون ينتشرون في حواضر العراق ويجتمعون في مدنها، حتى اكتظت بهم الكوفة والبصرة فضلاً عن بغداد. وفي هذه المراكز العلمية والأوساط الأدبية قامت حركة تدوين رائدة لم يكن لمثلها نظير. فنشط الرواة وكثر المؤلفون وراجت سوق الوراقين. وقد واكب ذلك على صعيد الأدب نبوغ عدد من الشعراء والكتّاب الذين احتضنتهم هذه المدن، واتسم نتاجهم المنظوم والمنثور بكثير من ملامح الجدة والطرافة .

وما من ريب في أن الاستقرار السياسي، ولاسيما بعد انقضاء طور الفتوح والقضاء على الفتن، قد ساعد على الالتفات إلى شؤون الأدب والعلم وقضايا الفلسفة والفكر، وجعل الظروف ملائمة لتدفق العطاء وتقجر الإبداع. وكان من المعهود أن يولي الخلفاء كل ذلك اهتمامهم ويحرصوا على تشجيع ذوي المواهب، يعينهم على ذلك ثراء كبير تجمع في خزائهم من موارد البلاد الواسعة. بل إن من الخلفاء أنفسهم من كان معروفاً بميله إلى الأدب وحبه للعلم مثل المهدي والرشيدي، والأمين والمأمون، والمعتصم والمتوكل. كذلك سار أمراء بني العباس وولاتهم ووزرائهم على غرار خلفائهم، فكان لكل منهم بلاط يقارب بلاط الخليفة أو يضارعه، من مثل ما كان لآل برمك، وطاهر بن الحسين، وعبد الله بن طاهر، ثم صاحب بن عبّاد وابن العميد وعضد الدولة والمهلبى وسيف الدولة الحمداني .

ويعد العصر العباسي أزهى العصور العربية حضارة ورقياً، كما أنه أطولها زمناً، إذ امتد حتى سنة 656هـ/1258م، حين تمكن هولاكو المغولي بجحافل الجلبة من اجتياح بلاد العراق والشام والقضاء على الدولة العباسية في بغداد التي دامت ما يزيد على خمسة قرون . وبوسع الباحث أن يتبين عهدين كبيرين في هذه الحقبة العباسية المديدة: عهد قوة ومنعة عاش فيه الخليفة عزيز السلطان مهيب الجانب، ويعرف بالعهد الذهبي الذي يصادف القرن الثاني وبعض القرن الثالث الهجري (القرنين الثامن والتاسع للميلاد)، وعهد انحلال سياسي، تخاذل فيه الخلفاء وضعفت في أيامهم هيبة الحكم. فما أطل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، حتى غدت بلاد فارس في حوزة بني بويه، والموصل وديار بكر وديار ربيعة ومضر في أيدي بني حمدان، ومصر والشام في قبضة محمد بن طنج ثم الفاطميين . على أن التفكك السياسي لم يصحبه بالضرورة تدهور حضاري ولا تخلف علمي، بل إن الفكر العربي الإسلامي، بما أوتي من قوة دافعة أكسبتها إياها القرون الأولى الوطيدة، استطاع أن يمضي في طريق النضج والازدهار ويغمر الأرض بنور المعرفة وألق الإبداع. فقد تعددت مراكز الإشعاع الحضاري، إضافة إلى مدن العراق، فكانت مكة والمدينة في الحجاز، والفسطاط والقاهرة في مصر، وحلب ودمشق في الشام، والري وهمذان في فارس ثم بخارى وسمرقند في ما وراء النهر، وغزنة في أفغانستان وجرجان في خراسان . وكان طبيعياً في غمار هذا الوضع السياسي والاجتماعي أن ينطوي ذلك المجتمع الجديد على تمازج في العادات والثقافات، وأن يفرز هذا العصر أصنافاً من العلوم وألواناً من الآداب، وأن يعكس ذلك على كل صعيد في الحياة العامة وفي جملتها الحياة الأدبية.

## الشعر

شهدت بواكير العصر العباسي نبوغ عدد وفير من الشعراء المبدعين الذين اتسمت أشعارهم بلامح الجدة وانطوت على رواء الحداثة، وبدا جلياً أن الغلبة لم تعد لمنزاع القديم ونماذجه الموروثة، وهكذا أخذت الأنظار تتجه إلى بشار بن برد وأبي نواس ، وأبي العتاهية، وأمثالهم ممن فاضت قرائحهم بشعر جديد بات مهوى أفئدة الجيل.



ثم توالى ظهور الشعراء النوابغ في العصر العباسي المديد، ومنهم أبو تمام والبحتري وابن الرومي ، وابن المعتز ، ودعبل ،.. ومن بعدهم أبو الطيب المتنبي ، وأبو فراس الحمداني، والشريف الرضي، وأبو العلاء المعري، وسواهم، وكان أن اتسع مجال القول وارتقت أساليب التعبير وعرف الشعر العربي أزهى عهوده .

### أغراض الشعر :

حرص شعراء العصر العباسي ونقاده بوجه عام على أن يدور شعرهم في فلك الأغراض الموروثة، وأن تنتسج أغراضه على منوال الفحول المتقدمين. فحافظ المديح على منزلته السالفة تبعاً لارتباطه الوثيق ببلاط الخلفاء والملوك، ومجالس الأمراء والولاة، ولكونه السبيل الأول للحظوة عند أولي الأمر، والطريق الأقصر لبلوغ الشهرة المنشودة .

### المديح :

اقترن شعر المديح بالموقف السياسي في العصر الأموي، حين كان للخليفة شعراؤه الذين يمدحونه وينالون عطايه، وبقي الحال على هذا الغرار في ظل الحكم العباسي، فاصطنع خلفاؤه شعراء موالين لهم لزمومهم في حلهم وترحالهم، وخصوهم بمدائحهم وذادوا عن حقهم في حكم المسلمين. وقد ظهر في عهد الخلفاء الأوائل عدد وفير من هؤلاء الشعراء مثل بشار وأبي العتاهية والسيد الحميري وأبي نواس والفضل الرقاشي وسلم الخاسر وأبي دلامة ومروان بن أبي حفصة ومطيع بن إياس وأشجع السلمي ومنصور النمري. وقد فاق الخليفة المهدي سلفيه في تقريب الشعراء وإكرامهم، فأكثروا فيه القول وغالوا في الثناء . ومضى الخليفة هارون الرشيد بعد ذلك إلى مدى أبعد في رعاية الشعر وتقريب الشعراء طوال حكم قوي زاهر دام اثنتين وعشرين سنة. ويقول الرواة إنه لم يجتمع بباب أحد ما اجتمع ببابه من الشعراء، ومن مداحه ابن مناذر وأبو الشيص ومروان بن أبي حفصة والعماني ومسلم ابن الوليد وربيعه الرقي.. فضلاً عن أبي العتاهية وأبي نواس وسلم الخاسر، وأصبح لإطراء الممدوح حيز أكبر لدى شعراء هذا العصر .

### الهجاء :

أما الهجاء، وهو الغرض الذي يقابل عادة غرض المديح، فقد انعطف في مساره عما كان عليه في العصر الأموي، فخفت فيه نزعة تحقير الخصم بسبب وضاعة أصله ونسبه، أو خمول مكانة أبيه وجده، أو ضآلة شأن عشيرته وقبيلته. إذ لم تعد للأنساب تلك الأهمية البالغة التي كانت لها في سالف العهد، بعد همود حدة العصبية القبلية وانصهار أكثر القبائل في بوتقة المجتمع المتحضر الحديث. فتركز الهجاء أو كاد، في إبراز المعاييب الشخصية اللاصقة بذات المهجو وما تنطوي عليه نفسه من مثالب. وهذا المنحى أدخل في رحاب التصوير والفن، وأبعد عن مجال القذف والشتم .

وكثيراً ما كانت المهاجة تستعر بين الشعراء أنفسهم فيكثر في قصائدهم ذكر المثالب والمعايب، وقد يتجاوزون الحدود إلى التحقير والتسفيه. وقد عرف بذلك بشار بن برد وأبو نواس وأبو عيينة المهلبى وابن الرومي ودعبل الخزاعي وعبد الصمد بن المعذل، حتى إن الأمر بلغ ببعضهم حد التعرض للخلفاء أنفسهم، شأن الشاعر الهجاء دعبل (246هـ/860م) الذي لم يتورع عن هجاء الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق. وقد قرن الخليفين الأخيرين معاً في قوله :

خليفة مات لم يحزن له أحد وأخر قام لم يفرح به أحد

وكذلك تنوعت أنماط الهجاء تبعاً لتعدد أوجه الحياة في هذا المجتمع العباسي المتحضر. فابن الرومي (ت283هـ/896م) الذي عاش في عصر اكتظ بالجواري والقيان مثل جلتار وبستاق وبدعة وشاجي ودريرة وغناء وظلوم ووحيد وغيرهن من مطربات مجالس الولاة والوزراء، تعرض في شعره لهؤلاء وغيرهن كما تعرض معاصره البحتري وسواه، وكان طبيعياً أن يقرظ بعضهم إعجاباً بأصواتهن وأن يهجو أخريات لم يجد في غنائهن ما يروقه .

### الرثاء :

أما غرض الرثاء فمن الطبيعي أن تظل له منزلته السامية في النفوس لانبثاقه من عاطفة الحزن الواري في كل زمان ومكان. غير أن فن الرثاء ارتقى في هذا العصر، واكتسب غنى وعمقاً، بفضل شعراء كبار أبدعوا فيه وفي سائر أغراض الشعر، وفي طليعة شعراء الرثاء أبو تمام الذي قيل عنه «مداحة نواحة»، ومن بعده ابن الرومي الذي عرف برثاء أولاده .

### الغزل :

وقد اكتسب الغزل في العصر العباسي غنى ومضاء لارتباطه بعاطفة الحب الغالبة في النفس الإنسانية. وأقبل الشعراء إقبالاً كبيراً على النظم فيه، فكثر كثرة بالغة وازدهر ازدهاراً واسعاً. غير أن الاتجاهين اللذين غلبا في العصر الأموي وهما الغزل العفيف والغزل الصريح لم يسر في العصر العباسي على ذلك النحو المتوازن. فقد أخذ الغزل العفيف في التضاؤل، في عصر تكاثرت فيه النحل والآراء، واحتدمت المنازعات والأهواء، وقلما عرف المجتمع العباسي طائفة من شعراء الحب النقي الطاهر كالذين عرفتهم من قبل بوادي الجزيرة وربوع الحجاز، مثل قيس بن زريح وجميل بن معمر وعروة بن أذينة. ولعل العباس بن الأحنف وقلة من أمثاله الشعراء الذين تعذبوا في عشقهم يمثلون بقية ذلك المنحى، وإن لم يبلغوا فيه شأو العذريين قبلهم. فالعباس بن الأحنف (192هـ/808م) قصر شعره، أو كاد، على التغني بعاطفته ومشاعره .

ولعلي بن الجهم غزل كثير أجاد فيه تصوير لواضع حبه. وقد برع في مقدماته الغزلية الرقيقة ولاسيما ما كان يستهل به مدائحه للخلفاء. ومن ذائع غزله في صدد مدحيه للمتوكل :  
عيون المها بين الرصافة والجسر  
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

واشتهر البحتري بالغزل، لما اتسمت به ألفاظه من سهولة ورقة وعباراته من عذوبة وسلاسة، وقد أحب علوة الحلبية، وقال فيها جل غزله . وغزل(الشريف الرضي406هـ/1016م) على تأخر عهده من أبرز الشواهد على نبل الشعور وعفة اللسان، فضلاً عن سمو مكانة ورفعة نسب، وقصائده الجميلة التي اشتهرت بالحجازيات نفقات شجية أثارَت كوامن نفسه المضطربة .

## شعراء العصر العباسي

## أبو نواس

ولد الحسن بن هانئ المعروف بأبي نواس سنة 762م في الأهواز بخوزستان، من أبوين فارسيين، وتوفي أبوه، وهو لا يزال طفلاً، فانتقلت به أمه إلى البصرة وعمره سنتان، فنشأ يتيماً في كنف أم شغلته عنه مطالب العيش، واضطرتها الحاجة إلى أن تجعل من بيتها ملتقى لرواد المتعة. ثم اقترنت برجل من أهل البصرة، فأصبح أبو نواس يتيماً الأب والأم، وكان يعمل في حانوت عطار يبيري له أعواد البخور، ثم ينتقل بعد عمله إلى المسجد الجامع حيث حلقات العلم وحيث احتك بأعظم علماء العصر وأدبائه وأخذ عنهم الشيء الكثير.

وأتيح له أن يلتقي بوالبة بن الحباب الأسدي، وكان شاعراً ماجناً عجب بأبي نواس ومواهبه فاصطحبه إلى الكوفة حيث حضر مجالس الشعراء والمجان، ثم انتقل إلى البادية مع وفد من بني أسد، وأقام فيها سنة قويت خلالها ملكة اللغة العربية عنده، وامتلاً عقله وروحه من أخبار البادية وشعرائها. ثم عاد أبو نواس إلى البصرة واتصل بخلف الأحمر الذي أمره أن يحفظ كثيراً من القصائد والأراجيز لكبار الشعراء. ومنذ ذلك الحين برزت شخصيته ونضجت عبقريته فراح ينظم الشعر. وحدث إذ ذاك أن أحب جارية لآل عبد الوهاب الثقفي تدعى "جنان" وكتب فيها شعراً رقيقاً ولكنه لم يلق منها إلا صدوداً. فكان لهذا الإخفاق أشد الأثر في حياته.

فانتقل في سنة 795م إلى بغداد يائساً قلقاً فأكب على شرب الخمره واتصل بالبرامكة ومدحهم، ثم انقطع إلى آل الربيع وأكثر من مدحهم. وظل يتقلب حول قصر الخلافة لا يجرؤ على الاقتراب منه، لما كان عليه من سيرة الخلاعة والمجون، حتى سنحت له فرصة اتصل فيها بهارون الرشيد ومدحه ونال من عطاياه ما حسنت به حاله، فانصرف إلى اللهو والمجون والإسراف في النفقات حتى عجزت نعم الرشيد عن سد حاجاته فتركه وقصد مصر. واتصل بأميرها الخصب ومدحه ونال من عطاياه ما لم يكفه ليوصل حياة إسرافه.

توفي هارون الرشيد وخلفه ابنه الأمين، فعاد أبو نواس إلى بغداد متصلاً به، فاتخذ الأمين نديماً له يمدحه ويُسمعه من طرائف شعره. غير أن سيرة أبي نواس ومجاهرته بمبازله جعلتا منادته الأمين تشيع بين الناس. وفي نطاق الصراع بين ابني الرشيد، الأمين والمأمون، كان خصوم الأمين يعيبون عليه اتخاذ شاعر خليع نديماً له، ويخطبون بذلك على المنابر، فيضطر الأمين إلى حبس شاعره. وكثيراً ما كان يشفع الفضل بن الربيع له لدى الخليفة فيخرجه من سجنه. وعندما توفي الأمين رثاه أبو نواس بقصائد تنم عن صدق عاطفته نحوه. فهكذا عاش أبو نواس عيشة لهو إلى أن انحل جسمه أخيراً وتاب. وقد توفي في بغداد سنة 198هـ \ 813م.

## أدبه:

ولأبي نواس ديوان شعر كبير عني بجمعه كثير من الأدباء، وطبع عدة مرات في مصر وبيروت. وقدم لها أحمد عبد المجيد الغزالي بدراسة لعصر أبي نواس وبيئته وشعره، وقام بتحقيق الديوان وضبطه وشرحه وتذييله بفهرس هجائي للقصائد والمقطوعات التي انطوى عليها. وهذا الديوان ينقسم إلى ثمانية أقسام: الخمريات، والغزل، والمديح، والهجاء، والرثاء، والعتاب، والزهد، والطرود.

أراد أبو نواس أن يخرج بالشعر عن أعتاب الملوك ونزجه في لجة الحياة والواقع. وقد كان رجلاً أحدث ثورة تحريرية كبرى في فن الشعر كما كان رجلاً الثقافة الواسعة. وهو على كل حال رجل الملاحظات الدقيقة والإحساس العنيف، وهو شاعر الهجران الذي يكتر من الشكوى، وشاعر الغناء الذي يرافق الوجدان، وهو أبداً شاعر الخمر وزعيم كل من رفع كأساً وتعبد لجمال.

## مختارات من شعر أبي نواس

### الفخر

ومستعبدٍ إخوانه بثرائه لبست له كبيراً لأبراً على الكبير  
إذا ضمّني يوماً و إياه محفلاً رأى جانبي وعرأ يزيد على الوعر  
أخالفه في شكله، و أجره على المنطق المنزور و النظر الشزر  
و قد زادني تيهاً على الناس أنني أراني أغناهم و إن كنتُ ذا فقر  
فوالله لا يبدي لساني حاجةً إلى أحدٍ حتى أُعَيَّبَ في قبري  
فلا تطمعن في ذلك مني سوقةً ولا ملكُ الدنيا المحجبُ في القصر  
صيانتي فمي عن سؤال الناس حسبي من الفخر

### المدح

قال يمدح الأمين :  
تتبه الشمس و القمر المنير إذا قلنا كأنهما الأمير  
فإن يك أشبها منه قليلاً فقد أخطاهما شبه كثير  
و نور محمدٍ أبداً تمامٌ على وضح الطريقة لا يحور  
وقال يمدحه أيضاً :  
ملكته على طير السعادة واليمن و حزتُ إليك الملكَ مقتبل السن  
لقد طابت الدنيا بطيب محمدٍ و زيدتُ به الأيامُ حسناً إلى حسن  
ولو لا الأمين بن الرشيد لما انقضت رحى الدين، و الدنيا تدور على حزن  
لقد فك أغلال العناة محمدٌ و أنزل أهل الخوف في كنف الأمن  
إذا نحن أتينا عليك بصالحٍ فأنت كما نثني، و فوق الذي نثني  
وإن جرت الألفاظ يوماً بمدحةٍ لغيرك إنساناً، فأنت الذي نعني

### الشاعر أبو العتاهية

هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي، وقد عرف بأبي العتاهية. ولد بعين التمر سنة 130هـ، ونشأ بالكوفة حيث ألع باللهو والعبث، ثم قال الشعر وإذا شعره من أرفع الشعر، فطار له في البلاد صيت، ورددته أقواله الرائح والغادي، فقصد بغداد، واتصل بالخليفة المهدي فلقى لديه حظوة كبيرة، فمدحه ونال بره، وتعرف في قصره بجارية اسمها عتبة، وأخذ يشبب بها في شعره، فغضب المهدي لذلك وأمر بسجنه ثم أطلق سراحه. واتصل بالهادي ثم بهرون الرشيد. وأخيرا لبس الصوف وتزهد، وقد يكون صدوفه عن الدنيا لخبية لقيها في حبه لعتبة. عاش أبو العتاهية إلى زمن المأمون وامتدحه ثم عاد إلى زهده وانقطع عن أصحابه إلى أن مرض مرضه الذي توفي فيه، وكان ذلك نحو سنة 218هـ \ 825م.

يقال في سبب تسم "أبو العتاهية" بهذا اللقب أن الخليفة المهدي قال له يوماً " أنت رجل متحذلق – أي متطرف، متعته – فغلب عليه هذا اللقب، ويقول ابن منظور " لأن المهدي قال له أراك متخبطاً متعتها وكان قد تعته بجارية المهدي " عتبه" واعتقل بسببها وعرض عليها المهدي أن يزوجه لها فأبت ، وقيل لقب بذلك لأنه كان طويلاً مضطرباً، وقيل أيضاً لأنه يرمي بالزندقة ولأنه كان محباً للمجون والتعته . وكلمة عتاهية لها أكثر من معنى ففي لسان العرب يقول ابن منظور: عته في العلم: أولع به وحرص عليه، والعتاهة والعتاهية مصدر عته مثل الرفاهة والرفاهية، والعتاهية: ضلال الناس من التجنن والدهش والتعته المبالغ في الملابس والمأكل ورجل عتاهية أي أحمق .

ولأبي العتاهية ديوان في الزهد جمعه في القرن الحادي عشر للميلاد أبو عمر يوسف ابن عبد الله وله ديوان آخر جمعه الأب لويس وطبعه في بيروت سنة 1887م. وينقسم شعره إلى قسمين القسم الأكبر يدور على الزهد والقسم الآخر منظومات مختلفة في كل فنون المعاني من مديح، ورثاء وهجاء، وأوصاف، وحكم، وأمثال. وكان أبو العتاهية في شعره الزهدي إمام من نظم في هذا الباب وشعره هذا يقوم أساساً على الموعدة وما يتبعها من ذكر الدنيا، وتقلبها، وسرعة زوالها، والموت، والآخرة وأحوالها، وهو يقوم من ناحية ثانية على الأخلاق والحكمة، وما يتبع ذلك من نظرات في الحياة والناس.

#### حياته

كانت حياة شاعرنا مضطربة فكان يخالط أهل المجون واللهو واكثر الشعراء فسوقاً، وظل كذلك لفترة من حياته حتى أطلق عليه لقب "مخنث أهل بغداد"، وعلى الرغم من حياة اللهو هذه إلا أنه انصرف بعد ذلك إلى الزهد، فكثر شعره في الزهد ووصف الموت وأحواله، والمواعظ والحكم.

انتقل أبو العتاهية إلى بغداد أثناء خلافة المهدي، وكانت مركزاً للنشاط العلمي والأدبي بالإضافة لكونها دار الخلافة، فكانت المكان المناسب للشاعر لينشر بها أشعاره، اتصل بالخليفة المهدي الذي استدعاه للقصر ولما سمع شعره أعجب به ونال رضاه.

ومما قاله في مدح الخليفة المهدي يوم توليه الخلافة :

أنته الخِلافة مُنقادَة	إله تُجَرَّرُ أذْيالها
ولم تَكُ تَصْلُحُ إلّا له	ولم يَكُ يَصْلُحُ إلّا لها
ولو رامها أحدٌ غيرُه	لزلزلت الأرضُ زلزالها
ولو لم تُطعهُ بناتُ القلوب	لما قبِلَ اللهُ أعمالها
وإلّا الخِليفة من بعض	لإله ليُبغضُ من قالها

وعندما جاءت فترة حكم الرشيد كان أبو العتاهية قد أعرض عن قول الشعر، فطلب منه الرشيد أن يعود إليه فأبى فحبسه في منزل حتى عاد إليه مرة أخرى، ولزم بعد ذلك الرشيد ومن بعده الأمين ثم المأمون.

#### "عتبه"

أعجب أبو العتاهية بجارية لزوجة المهدي وتدعى "عتبه" وكان قد أبصرها ذات يوم راكبة مع جمع من الخدم تتصرف في حوائج الخلافة، فتعلق بها قلبه وذكرها في شعره، ولما علم أمير المؤمنين هم أن يدفع بها إليه، ولكنها قالت " يا أمير المؤمنين مع حرمتي وخدمتي تدفعني إلى بائع جرار متكسب بالشعر؟"، فبعث إليه قائلاً " أما عتبه فلا سبيل لك إليها وقد أمرنا لك بملء برنية مالا ."

وظل أبا العتاهية متغزلاً في عتبة ينظم فيها الكثير من الأشعار، حتى أمر المهدي بجلده وإدخاله للسجن، إلى أن تشفع فيه خاله وأخرجه . وعلى الرغم من ذلك ظل حب عتبة مشتتلاً بقلبه حتى جاءت خلافة الرشيد، والذي حاول بدوره التوسط من أجل زواج أبو العتاهية من عتبة ولكن لم يفلح الأمر أيضاً، وأصاب أبو العتاهية اليأس ومما قاله في ذلك:

قَطَعْتُ مِنْكَ	حَبَائِلَ الْأَمَالِ
وَحَطَّطْتُ عَنْ ظَهْرٍ	الْمَطِيِّ رِحَالِي
وَيَئِسْتُ أَنْ أَبْقَى لِشَيْءٍ	نَلْتُ مِمَّا فِيكَ
يَا دُنْيَا	وَأَنْ يَبْقَى لِي
وَوَجَدْتُ بَرْدَ الْيَأْسِ	بَيْنَ جَوَانِحِي
وَأَرَحْتُ مِنْ حَلِي	وَمِنْ تَرْحَالِي

أبو العلاء المعري:

هو أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي . ولد سنة 363 هـ في مدينة (المعرة) بين حلب وحماة ، وكان والده بأبي العلاء وكانت نشأة المعري في بيت علم ووجاهه ، وأصيب في الرابعة من عمره بالجذري فكف بصره. درس علوم اللغة والأدب والحديث والتفسير والفقه على نفر من أهله ، وفيهم القضاة والفقهاء والشعراء، وقرأ النحو في حلب على أصحاب ابن خالويه ويدل شعره ونثره على أنه كان عالماً بالأديان والمذاهب وفي عقائد الفرق ، وكان آية في معرفة التاريخ والأخبار . كان على جانب عظيم من الذكاء والفهم وحدة الذهن والحفظ وتوقد الخاطر . سافر في أواخر سنة 398 هـ إلى بغداد فزار دور كتبها وأخذ عن علمائها ، وكانت بغداد في ذلك الوقت مجتمع علماء العصر في كل العلوم والفنون . عاد إلى المعرة سنة 400 هـ وشرع في التأليف والتصنيف ملازماً بيته ، ودعا نفسه رهين المحبسين ، أي حبسه عن النظر بعد عماء ، وانحباسه في منزله لم يغادره حتى توفي ، وفي ذلك يقول:

أراني في الثلاثة من سجوني	**	فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي	**	وكون النفس في الجسم الخبيث

عاش المعري بعد اعتزاله زاهداً في الدنيا ، معرضاً عن لذاتها ، لا يأكل لحم الحيوان ، ولا ما ينتجه من سمن ولبن أو بيض وعسل ، ولا يلبس من الثياب إلا الخشن . يعتبر المعري من الحكماء والنقاد ، وقد جمع في مؤلفاته الكثيرة ألواناً من المعرفة ، صاغها في شعر متين ونثر رصين . لقد زادت مؤلفاته على السبعين بين منظوم ومنثور وأشهرها : ديوانه المعروف (لزوم ما لا يلزم) أو (اللزوميات) ، وديوانه (سقط الزند) ، (رسالة الغفران) والفصول والغايات.

فديوانه اللزوميات هو مجموعات من الشعر ، تقصر وتطول ، وتشتمل على أغراض مختلفة في الحكمة والنقد الاجتماعي والدعوة إلى تحكيم العقل وتزهد في الحياة والتقصيف وفي الحض على فعل الخير وذم للناس لما انطوت عليه أخلاقهم من كذب وخداع ونفاق وغدر ، كما اشتمل على رأيه في الزواج والمرأة والنسل ورأيه في الحكام ورجال الدين ، وغير ذلك من الأغراض الأخرى . وفيه التزم قافية ذات روي واحد في القصيدة ومن ثم دعي باللزوميات . ففي أخلاق الناس وتكرهم لذوي الفضل يقول:

أولوا الفضل في أوطانهم غرباء	**	تشذ وتئأى عنهم القربا
------------------------------	----	-----------------------

أما رسالة الغفران ، فهي رسالة كتبها المعري ردا على رسالة بعث بها إليه علي بن منصور بن طالب الحلبي ، المعروف بابن القارح ، وقد طاف فيها برحلة خيالية شاقة قاد فيها ابن القارح أرجاء العالم الآخر ، وأذاقه من ألوان النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر . وقد أخذت هذه الرسالة في شكلها وظاهرها صورة الرسائل الإخوانية ، لكن أبا العلاء -الذي لم تكن تربطه بابن القارح رابطة سابقة- لم يعن بالمسائل الإخوانية قدر ما عني بسرد محفوظه من اللغة والأخبار والأشعار والإعلان عن براعته والتحدث عن لقيه من الأئمة والشيوخ . ومن الراجح أن أبا العلاء كتب هذه الرسالة في النصف الثاني من حياته ، فحياته تنقسم إلى قسمين واضحين متميزين ، كان في أولهما يعيش دنيا الناس ويأخذ فيما يأخذون فيه من لهو وجد ، محاولا أن يشركهم في حياتهم ، وأن يناضل بكفائته وامتيازته ليظفر بمكان له فيها . وكان في القسم الثاني من حياته معتكفا في دنياه منصرفا على التأمل والإملاء ، وعلى هذا يكون من الراجح أيضا أنه نظم ديوانه (سقط الزند) في النصف الأول من حياته ، حين كان زنده واريا بنشاط الشباب ، فمدح وداعب ومارس نوعا من النسب ورثى ومارس نوعا من الهجاء اللطيف الخفيف ، ويبدو أنه نظم (ضوء السقط) في النصف الثاني من حياته ، فقد أسقط منه بعض ما كان غير راض عنه ، كذلك نظم اللزوميات في النصف الثاني من حياته ، وجمع فيه الحكمة والمنطق ، وما ألم به من تجارب الحياة ومعاشرة الناس، وما لمس من سوء الحكم والتهافت على الدنيا وما آل إليه الدين ليصبح وسيلة للوجاهة والتكسب والخداع وغير ذلك من الأمور التي كانت تسود المجتمع ، فسكب في لزومياته تأملاته التي تصدر عن عقل وتفكير، وتتفق عن حكمة بالغة ، جعلت المعري يرقى على مراتب الحكماء والفلاسفة وأن يوصف بحق أنه شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء . وأما (سقط الزند) فهو ديوان شعر يشتمل على قصائد في أغراض مختلفة ، فيها المديح والرثاء والفخر وما سوى ذلك من الأغراض المألوفة عند شعراء زمانه ، وقد سلك في شعره طريقة أبي تمام والمتنبي ، وهي جزالة اللفظ وحسن المعنى، وقد دعاه (سقط الزند) لأن السقط أول ما يخرج من (الزند) وهو ما تقدح به النار . وهو أول شعره وما سمح به خاطره . فمن قوله وهو يرثي الفقيه الحنفي أبا حمزة ، قصيدته التي ضمنها كثيرا من الحكم والتي يقول في مطلعها:

غير مجد في ملتي واعتقادي	نوح باك ولا ترنم شادي
خفف الوطاء ، ما أظن	أديم الأرض إلا من هذه الأجساد
سر إن استطعت - في الهواء رويدا	لا اختيالا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحد مرارا	ضاحك من تزاحم الأضداد
ودفين على بقايا دفين	في طويل الأزمان والأباد
تعب كلها الحياة فما	أعجب إلا من راغب في ازدياد
كل بيت للهدم : ما تبتني	الورقاء والسيد الرفيع العماد
بأن أمر الإله ، واختلف النا	س ، فداع إلى ضلال وهاد
والذي حارت البرية فيه	حيوان مستحدث من جماد
واللييب ، اللييب ، من ليس يغتر	بكون مصيره للفساد

### وقال يفخر بنفسه:

عفاف وإقدام وحزم ونائل	ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل
يصدق واش أو يخيب سائل	أعندي ، وقد مارست كل خفية
ولا ذنب لي إلا العلا والفضائل	تعد ذنوبي عند قوم كثيرة
بإخفاء شمس ضوءها متكامل	وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم
لآت بما لم تستطعه الأوائل	وإنني وإنكنت الأخير زمانه ذ
تجاهلت حتى ظن أنني جاهل	ولما رأيت الجهل في الناس فاشيا
ووأسفا ، كم يظهر النقص فاضل	فواعبا ، كم يدعي الفضل ناقص
وغير قسا بالفهاهة باقل	إذا وصف الطائي بالبخل مادر
وقال الدجي للصبح لونك حائل	وقال السهي للشمس أنت خفية
ويا نفس ، جدي ، إن دهرك هازل	فيا موت زر ، إن الحياة ذميمة

وللمعري تصانيف كثيرة تجاوزت السبعين ، منها كتاب الأيك والغصون ، وشروحه لديوان أبي تمام والمنتبي والبحتري ، وقد دعا شرحه لديوان أبي تمام (ديوان حبيب) ، ودعا شرحه لديوان المنتبي (معجز أحمد) وتناول البحتري بالنقد وسمى شرحه لديوانه (عبث الوليد). وله كتاب (الفصول والغايات) وهو كتاب في العظات والزهد . والمعري على علو كعبه في فنون العلم والمعرفة وكثرة تصانيفه التي ترفعه إلى مرتبة كبار الحكماء ، كان متواضعا نواضع العلماء والأعلام ، وليس أدل على ذلك من قوله:

وما أنا إلا قطرة من سحابة      ولو أنني ألفت ألف كتاب

### أبو الطيب المنتبي:

هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد أبو الطيب الكندي وقيل الجعفي الكوفي المولد، ولد سنة 303 هـ ، نسب إلى قبيلة كندة نتيجة لولادته بحي تلك القبيلة في الكوفة لا لانتماء لهم. عاش أفضل أيام حياته وأكثرها عطاء في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب وكان أحد أعظم شعراء العرب، وأكثرهم تمكنًا باللغة العربية وأعلمهم بقواعدها ومفرداتها، وله مكانة سامية لم تتح مثلها لغيره من شعراء العربية. فيوصف بأنه نادرة زمانه، وأعجوبة عصره، وظل شعره إلى اليوم مصدر إلهام ووحى للشعراء والأدباء. وهو شاعر حكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. وتدور معظم قصائده حول مدح الملوك. ويقولون عنه بأنه شاعر اناني ويظهر ذلك في اشعاره. قال الشعر صبيًا. فنظم أول اشعاره وعمره 9 سنوات. اشتهر بحدة الذكاء واجتهاده وظهرت موهبته الشعرية باكراً.

صاحب كبرياء وشجاع وطموح ومحب للمغامرات. وكان في شعره يعتز بعرويته، وتشاؤم وافتخار بنفسه، أفضل شعره في الحكمة وفلسفة الحياة ووصف المعارك، إذ جاء بصياغة قوية محكمة. إنه شاعر مبدع عملاق غزير الإنتاج يعد بحق مفخرة للأدب العربي، فهو صاحب الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة. وجد الطريق أمامه أثناء تنقله مهيناً لموهبته الشعرية الفائقة لدى الأمراء والحكام، إذ تدور معظم قصائده حول مدحهم. لكن شعره لا يقوم على التكلف والصنعة، لتفجر أحاسيسه وامتلاكه ناصية اللغة والبيان، مما أضفى عليه لونا من الجمال والعذوبة. ترك تراثاً عظيماً من الشعر القوي الواضح، يضم 326 قصيدة، تمثل عنواناً لسيرة حياته، صور فيها الحياة في القرن الرابع الهجري أوضح تصوير، ويستدل منها كيف جرت الحكمة على لسانه، لاسيما في قصائده الأخيرة التي بدأ فيها وكأنه يودعه الدنيا عندما قال: أبلى الهوى بدني.



ازداد أبو الطيب اندفاعاً وكبرياء واستطاع في حضرة سيف الدولة في حلب أن يلتقط أنفاسه، وظن أنه وصل إلى شاطئه الأخضر، وعاش مكرماً مميّزاً عن غيره من الشعراء في حلب. وهو لا يرى إلا أنه نال بعض حقه، ومن حوله يظن أنه حصل على أكثر من حقه. وظل يحس بالظماً إلى الحياة، إلى المجد الذي لا يستطيع هو نفسه أن يتصور حدوده، إلى أنه مطمئن إلى إمارة حلب العربية الذي يعيش في ظلها وإلى أمير عربي يشاركه طموحه وإحساسه. وسيف الدولة يحس بطموحه العظيم، وقد ألف هذا الطموح وهذا الكبرياء منذ أن طلب منه أن يلقي شعره قاعداً وكان الشعراء يلقون أشعارهم واقفين بين يدي الأمير، واحتمل أيضاً هذا التمجيد لنفسه ووضعها أحياناً بصف الممدوح إن لم يرفعها عليه. ولربما احتمل على مضض تصرفاته العفوية، إذ لم يكن يحس مداراة مجالس الملوك والأمراء، فكانت طبيعته على سجيتها في كثير من الأحيان.

شعر المتنبي كان صورة صادقة لعصره، وحياته، فهو يحدثك عما كان في عصره من ثورات، واضطرابات، ويدلك على ما كان به من مذاهب، وآراء، ونضج العلم والفلسفة. كما يمثل شعره حياته المضطربة: فذكر فيه طموحه وعلمه، وعقله وشجاعته، وسخطه ورضاه، وحرصه على المال، كما تجلت القوة في معانيه، وأخيلته، وألفاظه، وعباراته. وقد تميز خياله بالقوة والخصابة فكانت ألفاظه جزلة، وعباراته رصينة، تلائم قوة روحه، وقوة معانيه، وخصب أخيلته، وهو ينطلق في عباراته انطلاقاً ولا يعنى فيها كثيراً بالمحسنات والصناعة.

### أبو تمام

هو حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمام، وينتهي نسبه إلى يعرب بن قحطان وُلد في قرية جاسم سنة 180هـ 849م، من قرى الجيدور من أعمال دمشق. نشأ في دمشق يعمل عند حائك ثم انتقل إلى حمص حيث نظم الشعر وصادف الشاعر ديك الجن وأخذ عنه بعض أساليبه ولأسيما في ما هو من الصناعة اللفظية ثم انتقل إلى مصر حيث تردد إلى حلقات الأدب والعلم ينهل منها ما شاء له الحظ أن ينهل، ثم ضاقت به الحال في مصر فانتقل إلى الحجاز فأرمينية وفارس وجال فيها، وأخيراً سمع به المعتصم فاستقدمه وجعله شاعر بلاطه واصطحبه في حملته الموفقة على عمورية. وبعد ذلك عاد الشاعر إلى الضرب في البلاد والاتصال بأرباب السلطان، فتنقل من مكان إلى مكان حتى بلغ الموصل ولقي إكراماً خاصاً لدى الحسن بن وهب كاتب ابن الزيات، الذي أقر له مقاما في الموصل وولاه على بريدها، وقد لبث أبو تمام على ذلك سنتين توفي على إثرهما سنة 228هـ 843م.

### شخصيته:

أوتي أبو تمام عبقرية شعرية فريدة، يرفدها خيال واسع الآفاق عجيب الشطحات، يسمو سماوا بعيد المدى، ويأتي بالعجيب من الصور والألوان. وأبو تمام رجل ثقافة وعقل ومعرفة توفر على المعاني، وراح يفتنصها من أعماق أعماقها، ويرسلها بعيدة الغور، جليلة القدر، كما يرسلها أحياناً حكماً للهداية ضمنها نظرات قيمة في النفس والحياة فعرف بشاعر المعاني. وهو شاعر صناعة لفظية ومعنوية بلغ به التصنيع حد الإسراف في الزخرفة والتعقيد والإغراب، بل حد التعسف والسماجة أحياناً. فهكذا كان أبو تمام رجل العبقرية الشعرية الخصبة ورجل الشعر العالي والأدب الرفيع.

### أدبه:

ولأبي تمام ديوان طبع في مصر وفي بيروت، وهو مقسم سبعة أقسام: المديح والهجاء والمعانيات والأوصاف والفخر والغزل والمرثي. وله ديوان الحماسة وهو مختارات جمعها أبو تمام من أشعار العرب العرباء ورتبه على عشرة أبوابها أهمها: الحماسة والمرثي والأدب والنسيب والهجاء والصفات والملح ومذمة النساء.

وله فضلا عن المدح والثناء مقطوعات غزلية تختلف شديد الاختلاف عن الافتتاحيات التقليدية، وتمتاز برقة العاطفة، وصدق الانفعال وعذوبة الكلام، وله إخوانيات عبر فيها عن أهمية الصداقة وعن الصفات التي يجب أن يتحلى بها الصديق وعن أثر الحب والأول في نفس الإنسان، وذلك في كلام لا تكاد تصدق أنه لأبي تمام.

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

وله أيضا وصف يمتاز بدقة الملاحظة، وبعمق التحليل، وتتجلى فيه نزعة الشاعر إلى التعميق واعتماد المحسنات البيانية والبديعية.

### البحرّي 897 - 820 م:

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي، أحد أشهر الشعراء العرب في العصر العباسي. يقال لشعره سلاسل الذهب، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم، المتنبي وأبو تمام والبحتري، قيل لأبي العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر؟ فقال: المتنبي وأبو تمام حكيمان وإنما الشاعر البحتري.

ولد البحتري في منبج في الشمال الشرقي من حلب في سوريا سنة 821م. ظهرت موهبته الشعرية منذ صغره، انتقل إلى حمص ليعرض شعره على أبي تمام، الذي وجهه وأرشده إلى ما يجب أن يتبعه في شعره. كان شاعراً في بلاط الخلفاء: المتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز بن المتوكل، كما كانت له صلات وثيقة مع وزراء في الدولة العباسية وغيرهم من الولاة والأمراء وقادة الجيوش. بقي على صلة وثيقة بمنبج وظل يزورها حتى وفاته. خلف ديواناً ضخماً، أكثر ما فيه في المديح وأقله في الرثاء والهجاء. وله أيضاً قصائد في الفخر والعتاب والاعتذار والحكمة والوصف والغزل. كان مصوراً بارعاً، ومن أشهر قصائده تلك التي يصف فيها إيوان كسرى والربيع ومعنى كلمة البحتري في اللغة العربية: قصير القامة.

### حياته

ولد البحتري بمنبج من أعمال حلب في سوريا سنة (821م/205 هـ)، ونشأ في قومه الطائيين فتغلبت عليه فصاحتهم، تتلمذ لأبي تمام وأخذ عنه طريقته في المديح ثم أقام في حلب وتعلم هناك ملكة البلاغة والشعر واحب هناك (علوة) المغنية الحلبية التي ذكرها كثيراً في قصائده. ثم تنقل بين البلاد السورية وغيرها، وهو ميدان للقلق والاضطراب، والخلافة ضعيفة لاستيلاء الأتراك على زمام الأمور. فتردد الشاعر في بغداد على دور عليتها. واتصل بالمتوكل فحظي لديه وأصبح عنده شاعر القصر ينشد الأشعار فيعطي له الأموال الوفيرة. ولما قتل المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان لبث الشاعر يتقلب مع كل ذي سلطان مستجدياً، حتى عاد سريعاً إلى منبج يقضي فيها أيامه الأخيرة فأدركته الوفاة سنة (897م/284 هـ) ودفن في مدينة الباب. وللبحرّي ديوان شعر كبير طبع مراراً في القسطنطينية ودمشق ومصر وبيروت. وقد شرح أبو العلاء المعري قديماً هذا الديوان وسماه عبث الوليد.

وكان البحتري بدويًا النزعة في شعره، ولم يتأثر إلا بالصبغة الخارجية من الحضارة الجديدة. وقد أكثر من تقليد المعاني القديمة لفظياً مع التجديد في المعاني والدلالات، وعرف عنه التزامه الشديد بعمود الشعر وبنهج القصيدة العربية الأصيلة إلا أن الشاعر العراقي فالح الحجية يقول يتميز شعره بجمالية اللفظ وحسن اختياره والتصرف الحسن في اختيار بحوره وقوافيه وشدة سبكه ولطافته وخياله المبدع.

غزل البحتري هو بديع المعاني متدفق العاطفة، ويلحظ ذلك في القصائد التي بدأها بذكر علوة تلك المغنية التي احبها في حلب فهو حقيقي الشعور متوثب العاطفة. وهو على كل حال عامر بالبرقة والحلاوة، مستوفي الجمال الفني. وقد دعي البحتري ((شاعر الطيف)) لإكثاره من ذكر خيال الحبيب. وأسلوب البحتري في الرثاء فخم جليل تغطي فيه العاطفة الفنية على العاطفة الحقيقية. وأحسن رثائه ما قاله في المتوكل. اجتزأ فيها البحتري بالمعاني الشائعة القريبة المنال، ابتعد عن التعقيد وكان الأفضل عند من يفضلون سهولة المعاني، ووضوح الألفاظ، وكانت أيضاً ألفاظه وليدة الاختبار البسيط.

وصف الطبيعة في شعر البحتري هو لوحات عديدة جمع فيها ألواناً مختلفة من مباحج الطبيعة. وقد كانت أوصافه في الطبيعة على الإجمال قليلة الحظ من الابتكار، تقليدية في أغلبها، غير أن البحتري تمكن من ترقية هذا التقليد إلى درجة رفيعة من التفوق والشخصية والاصالة. وقد ابتدع طريقة خاصة تقوم باختيار التفاصيل الطريفة المحسوسة لتأليف لوحات متناسقة تروغ بائتلافها وتؤثر بما يبثه فيها من حياه وحركة، وبما يجعل فيها من موسيقى رائعة. وقد أولع البحتري بمظاهر العمران ووصف القصور وما إلى ذلك. وقد أبدى في وصفه براعة في تخير التفاصيل النائثة، ودقة في رسم تلك التفاصيل رسماً حسياً وانفعالاً نفسياً شديداً.

وللبحتري "كتاب الحماسة" و"كتاب معاني الشعر" كما له ديوان ضخم في الشعر جمعه أبو بكر الصولي، وطبع في الأستانة سنة 1882م ثم في مصر وبيروت سنة 1911م، وقد طوى أكثره على المدح وضمنه بعض الرثاء والهجاء، والفخر والعتاب، وما إلى ذلك. والوصف خير ما في هذا الديوان وهو منشور في شتى القصائد ولا سيما قصائد المدح.

### ابن الرومي:

هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، المعروف بابن الرومي وكانت ولادته سنة 221 ببغداد في الموضع المعروف بالعقبة. وكان رومي الأصل من ناحية أبيه وفارسياً من ناحية أمه. نشأ في ولاء عبد الملك بن عيسى بن جعفر بن المنصور، وتردد على الراوية ابن حبيب وأخذ عنه اللغة والأنساب وأوفي أبوه وهو على حداثة في السن. تزوج ابن الرومي ورزق ثلاثة بنين، وقد ماتوا جميعهم في عمر الطفولة ورثاهم الوالد المفجوع بأرق ما يكون من الرثاء. ثم ماتت زوجته وهي في مقتبل العمر فرثاها، ثم مات أخوه ففرغ ميدان الحياة حواله. وراح يعالج الوجود في تشاؤم مريب واستسلام قتال، صارفاً معظم أيامه في بغداد لا يبيارحها قليلاً حتى يرجع إليها منشوقاً.

وهو من شعراء القرن الثالث الهجري في العصر العباسي وإنه كان من الشعراء المولدين، قد برع في نظم الشعر بقريحته الوقادة وفكره العميقة. ويمتاز شعره بالسلامة والرقّة والسهولة والعذوبة والإطناب ونرى في هجائه أسلوباً خاصاً في ساحة الشعر العربي والعباسي. وأنّ فضيلة الهجاء عند ابن الرومي تقوم في خلق الصورة الكاريكاتورية. إذن ابن الرومي شاعر فذ في إنشاد الشعر.

### أدبه:

ولابن الرومي ديوان ضخم جمعه أبو بكر الصولي ورتبه على حروف المعجم، طبع الجزء الأول منه في القاهرة سنة 1917م. ثم نشر كامل كيلاني مختارات منه جعلها ثلاثة أجزاء في مجلد واحد يقع في نحو 500 صفحة. وصدرها عباس محمود العقاد بمقدمة قيمة في عبقرية الرجل. إنه في مجمله يدور حول المدح والهجاء والرثاء والغزل والوصف والفخر والعتاب والطرّد وما إلى ذلك، ولكن هذه الموضوعات إطارات لتنفس عبقرية الشاعر وطبيعته السخية إذ إن شعره شديد اللصوق بشخصيته شديد التمشي مع حياته الداخلية المتأثرة بالخارج، المندفقة عليه اندفاقاً تفاعلياً فياضاً. وها نحن أولاء نعدم إلى الإطارات والأغراض العامة، محللين، ومعللين، مستخرجين الميزات المختلفة مع علاقاتها بنفسية الشاعر ونفسية بيئته.

### موته:

لسان ابن الرومي فهو وثيق الصلة بموته و بكثرة أهاجيه، وهجاؤه وثيق الارتباط بطيرته و تشاؤمه من كل الأشخاص و الأشياء. إذن يصل ابن الرومي في الهجاء و التصرف بمعانيه و أساليبه و الإفحاش في ذلك إلى حد خافه معه معاصروه، و اشتهر ابن الرومي بالجرأة على هجاء الأمراء فلم يسلم أحد من الخوف منه حتى الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب. أن الوزير يخاف هجوه وقلنت لسانه بالفحش، فأكله بالسم ومات ابن الرومي مسموماً (سنة 283 هـ) بسبب هجائه اللاذع وطول لسانه.

## الشاعر بشار بن برد

ولد بشار بن برد في البصرة من أصل وضيع، وكان أعمى منذ مولده، وكان بشار من كبار شعراء الدولة العباسية الذي مثل بشعره وحياته ومواقفه ظاهرة تدل على العصر الذي نشأ فيه فقد ولد هذا الشاعر في نهاية القرن الاول الهجري وكانت شمس الدولة الاموية تؤذن بالافول، وقد عاصر في مطلع شبابه موقف الدولة الاموية من تعصب للعرب على حساب العجم، وكان بشار فارسيا من ناحية آبائه واجداده.

ثم ان بشار بن برد كان دميم الخلقة ضخم الجسم جريئا في الاستخفاف بكثير من الاعراف والتقاليد مقبلا على المتعة بصورها المتعددة الخمر والنساء والغناء، عاش بشار بن برد ما يقرب من سبعين عاما قبل ان يقتله الخليفة العباسي المهدي متهما اياه بالزندقة وكان بشار الى جانب جرأته في غزله يهجو من لا يعطيه وكان قد مدح الخليفة المهدي فمنعه الجائزة فأسرها بشار في نفسه وهجاه هجاء مقذعا بل وهجا وزيره يعقوب بن داود وافحش في هجائه لهما فتعقبه الخليفة المهدي ووقع به وقتله.

كان بشار يسخر من عصره انتقاما لاحتقار بني جنسه من الاعاجم ايام بني امية، فلما جاءت الدولة العباسية قرب الفرس اعترافا بدورهم في القضاء على الدولة الاموية أساء بشار فهم الحرية والعصر الجديد ويبدو ان عاهته وقبحه كانت كلها وراء هذه الجرأة في التهام الحياة والاقبال عليها والتنعيم بها غير مبال بشيء وكأن حياته كلها ليست الا ردا متماديا في القسوة على الرزايا التي وجد نفسه مقيدا بناورها، روى بشار عن نفسه انه انشد اكثر من اثني عشر الف قصيدة ولكن ما وصل إلينا من شعره إلا القليل.

أصبح شعره يتردد بين عدة اغراض منها: الغزل وهو يعبر عن فتنته الحسية بالنساء خلال مخالطة وخبرة فقد كان يجلس فيما يشبه الصالون العصري يتقبل النساء الراغبات في سماع شعره او المغنيات اللواتي حفظن هذا الشعر ليتغنين به والغرض الثاني هو المدح فانه الوسيلة التي يمكن ان تدر عليه المال الذي يحتاجه لينفقه في ملذاته ولذا كان مبالغا في مدائحه طمعا في رضا الممدوح لإغرائه بالعطاء والغرض الثالث هو الهجاء، وكان بشار شديد الوطأة في هجائه خاصة على هؤلاء الذين يمتنعون عن عطائه وقد كان بشار يرتاد مجالس اللهو والغناء يقول في مغنية:

وذا دل كأن البدر صورتها  
باتت تغني عميد القلب سكرانا  
ان العيون التي في طرفها حور  
قتلنا ثم لم يحيين قتلانا  
قلت احسنت يا سؤلي ويا املي  
فاسمعيني جزاك الله احسانا  
يا حبذا جبل الريان من جبل  
وحبذا ساكن الريان من كانا  
قالت فهلا فدتك النفس احسن من  
هذا لمن كان صب القلب حيرانا  
يا قوم اذنى لبعض الحي عاشقة  
والأذن تعشق قبل العين احيانا  
فقلت احسنت انت الشمس طالعة  
اضرمت في القلب والاحشاء نيرانا  
فاسمعيني صوتا مطريا هزجا

يزيد صبا محبا فيك اشجانا  
يا ليتني كنت تفاحا مفلجة  
او كنت من قصب الريحان ريحانا  
حتى اذا وجدت ريحي فأعجبها  
ونحن في خلوة مثلت انسانا  
فحركت عودها ثم انثنت طربا  
تشدو به ثم لا تخفيه كتمانا  
اصبحت اطوع خلق الله كلهم  
لاكثر الخلق لي في الحب عصيانا  
قلت اطربينا يا زين مجلسنا  
فهاات انك بالاحسان اولانا  
لو كنت اعلم أن الحب يقتلني  
اعدت لي قبل ان القاك اكفانا  
فغنت الشرب صوتا مؤنقا رملا  
يذكي السرور ويبيكي العين الوانا  
لا يقتل الله من دامت مودته  
والله يقتل اهل الغدر احيانا

وللبشار شعر ضاع معظمه، وما بقي منه يدور حول الهجاء والغزل والمدح وما إلى ذلك. وقد ظهر في شعر بشار حالة الناس في عصره حضاريا وطبقيا وعائديا وجدليا كما تشيع في شعره الألفاظ والتعبيرات ذات المدلول الجديد، ويعالج بشار أحيانا في شعره المراسلة الشعرية. فنجد في شعره عالما من المعارف والحكمة، وابتكارات معنوية جمة.

### شرف الدين البوصيري (608 - 696 هـ \ 1212 - 1296م)

هو العارف بالله شرف الدين محمد بن سعيد. ولد في بوصيري في أول شهر شوال، وقد برع في الخط، وتولى مديرية الشرقية، وتوفي بالإسكندرية نحو سنة 1296م.

وللبوصيري في مدائح النبي قصائد شهيرة منها الهمزية ومطلعها:

كيف ترقى رقيق الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

ومنها "البردة" وتعرف "بالكواكب الذرية في مدح خير البرية" وهي تقع في 162 بيتا قيل إن البوصيري نظمها في مدة مرض اعتراه تبركا، فأثاه النبي وغطاه ببردته فشفى ولذلك سمي بديعته "البردة".

ولهذه القصيدة شهرة واسعة جدا وقد شرحت وفسرت أكثر من تسعين مرة في العربية، والفارسية، والتركية، والبربرية. وخمست وثلثت وشرطت مرات كثيرة، وقد ترجمت إلى عدة لغات منها اللاتينية والألمانية والفارسية. وهي من أروع الشعر الديني عاطفة وانطلاقا. وإليك شيئا منها:

أمن تذكر جيران بذى سلم  
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم  
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة  
وأومض البرق في الظلماء من إضم  
فما لعينك إن قلت "اكففا" همتا  
وما لقلبك إن قلت "استقق" يهم

## المناقشة

### أجب في جملة أو جملتين:

- (1) متى قامت الدولة العباسية؟
- (2) ما هو أهم أسباب سقوط الدولة الأموية؟
- (3) من قال هذا " المتنبي وأبو تمام حكيمان وإنما الشاعر البحتري؟
- (4) أين ولد البحتري؟
- (5) من هو صاحب وصف الطبيعة من شعراء العصر العباسي؟
- (6) من هو صاحب البردة؟
- (7) ما هو الاسم الكامل للبوصيري؟
- (8) من هو صاحب "سقط الزند"؟
- (9) ما هو الاسم الكامل للمعري؟
- (10) أذكر إثنين من مؤلفات المعري؟
- (11) من هو شاعر الخمر في العصر العباسي؟
- (12) من هو صاحب الغلمانيات في العصر العباسي؟
- (13) من هي الجارية التي أحبها أبو العتاهي ولم يستطع للزواج منها؟
- (14) لماذا سمي أبو العلاء نفسه رهين المحبسين؟
- (15) أذكر اسم الشاعر العباسي الذي كان لا يأكل اللحم في حياته؟

### أكتب مذكرة وجيزة حول الآتية:

- (1) الحياة الفكرية في العصر العباسي
- (2) مميزات الشعر العربي في العصر العباسي
- (3) اغراض الشعر في العصر العباسي
- (4) أبو نواس
- (5) بشار بن برد
- (6) البحتري

### أكتب مقالة حول الآتية:

- (1) المتنبي وشعره
- (2) أبو العلاء المعري وشعره
- (3) الحياة السياسية والاجتماعية في العصر العباسي

\*\*\*\*\*